الباب الثالث

اقسام الجماعات وبيان انواعها

الفصل الأوّل

اقسام الجماعات

اقسام الجماعات العامة — انواعها

١ — الجماعات المختلفة العناصر ـ اوجه اختلافها ـ تأثير الشعب — فى ان روح الجماعات تكون ضعيفة بقدر ماتكون روح الشعب قوية ـ فى ان روح الشعب تمثل حالة الحضارة وروح الجماعات تمثل حالة الهمجية

٢ ـ الجماعات المؤتلفة العناصر ـ انواعها ـ الافناء والطوائف والطبقات

obeikandl.com

بعد ان بينا الصفات العامة للجماعات النفسية ينبغي ان نبين الصفات الخاصة التي تنفرد بها المجامع عن بعضها اذا صارت جماعات بتأثير الاسباب المؤدية الى ذلك

ولنبدأ بقول موجز في تقسيم الجماعات

فاولها الجمع مطلقا وادنى مراتبه ما كان مؤلفاً من افراد ليسوا من شعب واحد ولا رابطة بينهم الا ارادة رئيسهم بقدر ماله من المنزلة فيهم ويمكن التمثيل لهذه المجامع بالمتبربرين مختلفي الاصول الذين أغاروا على المملكة الرومانية مدة قرون عدة

ويليها الجموع التي احتفتها احوال وعوامل ولدت فيها صفات عامة وانتهت بان صارت شعباً واحداً. ولهذه الجموع في بعض الاحيان الصفات الخاصة بالجماعات الا ان هذه الصفات الخاصة تكون دائماً متأثرة بصفات الشعب العامة

فاذا اجتمعت في هذه المجامع بقسميها العوامل التي ذكرناها في هذا الكتاب صارت جماعات منظمة او نفسية وهذه الجماعات تنقسم الى الاقسام الآتية

اولا الجماعات المختلفة العناصر وفيها	(١) الجماعات التى لا اسم لها (كجماعات الطريق العام)
	(٢) الجماعات التى لها اسم خاص (كالعدول المحلفين والمجالس النيابية وهكذا)
ثانياً الجماعات المؤتلفة العناصر وفيها	(١) الافناء (كالجموع السياسية والدينية وهكذا)
	(٢) الطوائف (كالجموع العسكرية ورؤساء الدين والعمال وهكذا)
	(٣) الطبقات (كجموع الاواسط وجموع اهل الريف وهكذا)

واليك قولا موجزاً فى بيان مميزات كل نوع من هذه الانواع

القسم الاول

الجماعات المختلفة العناصر

هذه الجموع هى التى شرحنا صفاتها فى هذا الكتاب وهى

تتألف من افراد ايا كانوا و كيفما كانت حرفتهم ومهنتهم وعقولهم ونحن الآن نعرف انه متى اجتمع قوم و كونوا جماعة عاملة اختلفت احوالهم النفسية الاجتماعية مع احوالهم النفسية الفردية اختلافا عظيما وان العقل لا يمنع من هذا الاختلاف لانه لا تأثير له فى الجماعات وان الذى يؤثر فيها انما هو المشاعر الغريزية

ومن العوامل الاصلية ما يسهل معه تميز الجماعات المختلفة العناصر تميزاً تاماً وهو الشعب وقد ذكرنا مراراً وقلنا انه اعظم المؤثرات التى تنبعث عنها افعال الناس ونقول ان له كذلك اثراً ظاهراً فى صفات الجماعات فالجماعة المؤلفة من افراد ايا كانوا وهم انكليز تختلف كثيراً مع الجماعة التى تتألف من افراد ايا كانوا وهم خليط من الروس والفرنساويين والاسبانيين مثلا

اشد مظاهر الافتراق الناشىء عن الوراثة العقلية فى كيفية الشعور والنظر فى الامور يعرض فجأة متى اجتمع افراد مختلفو الجنسية لسبب من الاسباب — وذلك نادر — كيفما اتحدت فى الظاهر المنافع التى اجتمعوا لاجلها . حاول الاشتراكيون عقد مؤتمرات تضم نواباً عن جميع العمال فى

كل امة فأدى ذلك دائما الى خلف عنيف . والجماعة اللاتينية تطلب على الدوام معاونة الحكومة على ما تريد تستوى فى ذلك الجماعة الثورية الصرفة والجماعة المحافظة المحضة فهى تميل بطبعها الى حصرا السلطة وجمعها فى يد واحدة والى من يجمع تلك السلطة فى يده . واما الجماعة الانكليزية او الامريكية فانها لا تعرف الحكومة ولا تستعين الا بهمة الافراد الذاتية . اول ما تهتم له الجماعة الفرنساوية المساواة . واول ما تهتم له الجماعة الانكليزية الحرية الشخصية . وبقدر اختلاف الشعوب تختلف المذاهب الاشتراكية والديمقراطية

وعليه تحكم روح الشعب دائما روح الجماعة فهى لها كالدائرة المنيعة التى تنظم تقلباتها وتحدد حركاتها . ومن هنا ينبغى ان نقرر القاعدة الآتية : تكون الصفات المنحطة فى الجماعة ضعيفة بقدر ما تكون روح الشعب قوية . فحالة الجماعة هى الهمجية وتسلطها رجوع الى الهمجية . ولا يخرج الشعب من الهمجية ويتخلص من سلطة الجماعات التى لا يحكمها العقل الا اذا كانت له روح قوية شديدة . وذلك يتأتى بالتدريج

ويلى الجماعات المتقدمة الجماعات التى لا اسم لها كجماعات

الشوارع ثم الجماعات التي لها اسم تعرف به كجماعات العدول والمجالس النيابية والذي يوجب اختلاف هذين النوعين غالباً في انفعالهما هو ان الاولى لا تشعر بتبعة ما تنتج عن اعمالها بخلاف الثانية فانها تقدر تبعة عملها كما ينبغي

القسم الثاني

الجماعات المؤتلفة العناصر

تفترق الجماعات المؤتلفة العناصر الى افناء وطوائف وطبقات فالافناء اول المراتب وهي تتألف من افراد مختلفين في التربية والحرفة والبيئة احياناً ولا جامعة تجمعهم الا وحدة الاعتقاد ومن هذا النوع الافناء السياسية والافناء الدينية

والطوائف ارقاها وهي تتألف من افراد متحدين في الحرفة فهم متشابهون في التربية والبيئة كجماعة الجند وجماعة الرؤساء الروحانيين

والطبقات هي التي افرادها من مناشئ مختلفة اجتمعوا لا بجامعة الاعتقاد كالافناء ولا بجامعة وحدة الحرفة كالطوائف بل بجامعة المنافع والشبه في حالة المعيشة والتربية كطبقة الاواسط في الامة وطبقة الزراع وهكذا

ولما كان بحثى فى هذا الكتاب قاصراً على الجماعات المختلفة العناصر ومن نيتى ان افرد للكلام على الجماعات المؤتلفة العناصر كتاباً خاصاً فلا اطيل فى بيان صفات هذه الاخيرة واختم الكلام على الاولى بذكر بعض انواعها مثالا للبقية

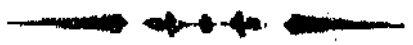

الفصل الثانى

الجماعات الجارمة

يجوز ان تكون الجماعة جارمة شرعاً لكنها لا تعد كذلك فلسفيا ـ فى ان افعال الجماعة لاشعورية محضة ـ امثلة شق ـ روح جماعة شهر ستمبر ـ افكارها وشعورها وقسوتها واخلاقها

ـــ

بعد ان يمضى زمن على الجماعة وهى فى هياج تعتورها حالة هبوط تجعلها آلة صماء غير شاعرة يحركها الالقاء فى نفسها ولذلك يتعذر تأثيمها فلسفياً كيفما كان الحال وانما جريت فى الكلام على استعمال هذا الوصف غير الصحيح لانى اقرأه فى بعض كتب علماء النفس الحديثة نعم ان بعض اعمال الجماعات تعتبر جرائم من حيث هى لكن كما يعتبر عمل النمر الذى يلتهم الهندى بعد ان يكون قد تركه لصغاره يفرحون بتمزيقه تصدر الجرائم عن الجماعة غالباً بسبب تحريض قوى .

ويعتقد الذين ارتكبوها من افرادها انهم قاموا بواجب كان مفروضاً عليهم وهذا ليس شأن الجناة فى الاحوال الاعتيادية وتاريخ جرائم الجماعات يوضح ذلك باجلى بيان

فمن امثلة ذلك قتل موسيو (لونى) مدير سجن (الباستيل) وواقعة الحال انه بعد استيلاء الثائرين على هذا الحصن احاطت الجماعة الثائرة بالمدير المشار اليه وصارت الضربات تتساقط عليه من كل جانب . وهذا يشير بشنقه وذاك بضرب عنقه وثالث بربطه فى ذيل فرس وهكذا . وبينما هو يدافع عن نفسه فرطت منه رفسة اصابت واحداً من الجماعة . اذ ذاك اقترح احدهم ان يقطع المضروب رأس الضارب فهلل الجمع بالموافقة قال راوى الواقعة « وكان المضروب طباخا خالياً من العمل ويقرب من ان يكون بهلولا ذهب الى (الباستيل) لينظر ماذا يجرى هناك . فلما سمع الاجماع ظن ان الفعل مما تقضى به الوطنية . وانه ينال وساما اذا أعدم ذلك الوحش . ثم تناولوه سيفا ضرب به عنق المدير وكان غير مشحوذ فلم يقطع فالقاه واخرج من جيبه سكيناً صغيرة ذات مقبض اسود واستعان بخبرته فى تقطيع اللحوم فساعده الحظ واتم عمله »

ومن هذا المثال يظهر لك كيف تصدر افعال الجماعه فقد انقادت هنا الى تحريض قوى بالاجماع عليه واعتقد القاتل انه اتى عملا شريفاً اعتقاداً مكنه من نفسه ذلك الاجماع . وقد يكون مثل هذا العمل آثماً بحكم القانون لكنه ليس كذلك فى حكم علم النفس

أما الصفات العامة للجماعات الجارمة فهى بعينها الصفات التى شاهدناها فى غيرها . من قابلية التأثر . والتصديق . والتقلب والتطرف فى المشاعر طيبة كانت او رديئة . والتخلق ببعض الاخلاق الخاصة وغير ذلك

وستظهر لنا هذه الصفات كلها فى احدى الجماعات التى تركت فى تاريخنا اقبح ذكرى محزنة وهى جماعة شهر سبتمبر[1] وبين هذه الجماعة وجماعة (سانت بارثلمى) شبه عظيم . وانى انقل شرح الواقعة عن موسيو (تاين) فهو الذى

---

(١) هى كارثة شهيرة وقعت أيام الثورة الفرنساوية في باريس يوم ٢ سبتمبر سنة ١٧٩٢ بتحريض رجل يقال له (مارات) على الارجح اصله طبيب انقلب صحافياً دمويا صرفا فكان يطلب اعدام مائتين وسبعين الف نفس مدعياً ان فى ذلك فداء الوطن

استخلصها من المفكرات التى كتبت ايام حدوثها

لا نعرف بالتحقيق الآمر والمحرض على تخلية السجون بقتل من فيها وسواء كان هو (دانتون) كما هو المظنون او غيره [1] فالذى يهمنا هو انه وجد تحريض قوى تأثرت به الجماعة التى وليت المقتلة

كانت تلك الجماعة مؤلفة من نحو ثلاثمائة سفاك كلهم اشتات فهى تمثل الجماعة المختلفة العناصر اكبر تمثيل اذ لم يكن فيها من الغوغاء الا نفر يسير والباقون من اصحاب الحوانيت والصناع فى كل حرفة وكل مهنة من حذائين وقفالين وحلاقين وبنائين ومستخدمين وسماسرة وغيرهم كلهم متأثرون بالتحريض الذى وقع عليهم . كالطاهى الذى مرَّ ذكره . وكلهم يعتقد انه قائم بواجب وطنى . وقد قاموا بعملين . فكانوا قضاة وجلادين . ولكنهم لم يروا انفسهم من الجناة ابداً . بل وقر فى نفوسهم انه واجب من اكبر الواجبات . واول ما بدأوا به ان شكلوا محكمة . هنالك ظهرت بساطة روح الجماعات وبساطة عدالتها . ذلك ان المحكمة رأت عدد المتهمين كبيراً

---

(١) هو (مارات) على ما ذكر فى معاجم التاريخ كما تقدم

فقررت اولا قتل الشرفاء والقسوس والضباط وخدام الملك وبالجملة قتل جميع الذين يعتبرون فى نظر كل وطنى جناة بمقتضى صناعتهم . وان يكون القتل جملة من دون احتياج الى حكم خاص . واما الباقون فيحكم عليهم بناء على سمعتهم او شهرتهم . فلما اطمأنت نفوس الجماعة بهذا القرار انطلقت تنفذ ما حكم به القضاء . فبرزت كوامن القسوة والتوحش اللذين شرحناهما من قبل . والتوحش يزداد فظاعة وعنفاً فى المجامع . الاّ ان الغرائز الهمجية لا تمنع من ظهور مشاعر تناقضها كما هو الشأن فى الجماعات . ولذلك كان يوجد فى تلك الجماعة من عاطفة التأثر ما يبلغ فى شدته تلك القسوة الهائلة .

كان لاولئك القتالين عطف صناع باريس ولطف شعورهم من ذلك ان احدهم علم ان المسجونين لم يذوقوا الماء منذ ست وعشرين ساعة فشرع فى قتل السجان لولا شفاعة السجناء وكانوا اذا برأت المحكمة التى اقاموها واحدا من المهتمين فرحوا وهللوا وانهالوا عليه يقبلونه وصفقوا تصفيقا طويلا ثم انقلبوا يقتلون غيره اكداساً . كانوا يقتلون والسرور

لا يفارق محياهم . يغنون ويرقصون . ويعدون المقاعد للنساء لتشاهد وهى فرحة قتل الشرفاء . وكان لهم عدل من نوع خاص يدلك عليه أن أحد الموكلين بالتقتيل شكا من ان النساء لا يشاهدن القتل لبعدهن عن مكانه . وان القليل من الناس هو الذى ينال حظ ضرب الشرفاء . فصوب الجميع شكواه وقرروا ان يمشى المتهمون الهوينا بين صفين من القتالين . وأمروا هؤلاء ان لا يضربوهم الا بظاهر السيوف حتى يطول امد العذاب . وكان فريق يأتى بالمتهمين عراة كما ولدتهم الامهات ثم يمزقون اجسامهم مدى نصف ساعة كاملة فاذا تمت للجميع مشاهدة هذا المنظر أجهزوا على المعذبين فبقروا بطونهم

ومع ذلك كنت تشاهد الامانة لا تزال ملازمة للقاتلين فكانوا يظهرون من الفضائل ما ذكرناه للجماعات من قبل ويأبون ان يتناولوا شيئاً من نقود المقتولين وحليهم بل يقدمونها للجنة

وكانت بساطة التعقل التى انفردت بها روح الجماعات تظهر فى افعالهم . من ذلك انهم لما فرغوا من قتل الالف والمائتين

او الالف وخمسمائة العدو للأمة لاحظ بعضهم ان السجون الاخر تضم اناساً لا فائدة منهم وان الاولى اعدامهم . فسارعت الجماعة الى الموافقة على هذا الرأى . وكان من فى السجون الاخر اناساً من الشحاذين والهمل (المتشردين) والاولاد فرأت الجماعة انه لا بد من وجود اعداء للامة بينهم كامرأة وجل كان قد قتل نفساً بالسم اذ قال بعضهم « لا بد انها متغيظة من وجودها فى السجن . ولو تمكنت لوضعت النار في باريس ولا بد ان تكون قد قالت ذلك . بل قالته . اذن حق عليها الاعدام » سرى هذا القول فى النفوس كالحجة الناصعة . وهرولت الجماعة فقتلت كل من كان فى تلك السجون وبينهم نحو خمسين غلاما ما بين الثانية عشرة والثامنة عشرة . وقالوا فى قتلهم أنهم اذا عاشوا لا يبعد ان يصيروا من أعداء الامة فالواجب التخلص من شرهم

ولما اتم القاتلون عملهم بعد ان زاولوه مدة اسبوع كامل فكروا فى الراحة واعتقدوا انهم خدموا الوطن خدمة يستحقون الجزاء من اجلها . ورغبوا الى حكومة ذلك الزمن ان تكافئهم ومنهم من طلب وساماً

وفى تاريخ ثورة ١٨٧١ امثلة كثيرة كالتى قدمناها وسنرى كثيراً غيرها ما دام سلطان الجماعات ينمو ويعظم وسلطان الحكومة ينزوى ويضعف

الفصل الثالث

العدول المحلفون امام محاكم الجنايات

الصفات العامة للعدول ـ فى ان الاحصاء يدل على انه لاتلازم بين قراراتهم وكيفية تشكيلهم ـ كيف يتأثر العدول ـ ضعف تاثير الدليل العقلى ـ طريقة الاقناع التى استعملها اشهر المحامين ـ الجرائم التى يرأف العدول بمن ارتكبها او التى يقسون من أجلها ـ فائدة العدول وخطر تبديلهم بالقضاة

لما كان لا يتيسر لنا ذكر جميع انواع العدول فى هذا الكتاب رأينا ان نقتصر على اهمها وهم العدول المحلفون امام محاكم الجنايات وهم احسن مثال يمثل به للجماعات المختلفة العناصر التى لها اسم خاص . واذا بحثنا عن الصفات التى لها نجد قابلية التأثر . وسيادة المشاعر الغريزية . وضعف التأثر بالمعقول . والانصياع الى القواد . وهكذا . وسنبين اثناء بحثنا

فى هذه الجماعات بعض الغلطات التى يرتكبها من لم يكن خبيرا بعلم روح الجماعات لما فى ذلك من الفائدة

نجد اولا فى العدول المحلفين من حيث القرارات التى يصدرونها مثالا حسنا يبين أن تأثير الأذكياء الذين يوجدون فى جماعتهم ضعيف لما تقدم من انه لا تأثير للعقل المستنير فى رأى الجماعة اذا كان فى موضوع غير فنى . وان رأى جمع من العلماء واهل الفن فى موضوع عام خارج عن علومهم وفنونهم لا يختلف كثيراً مع رأى جمع من البنائين او البدالين فى ذلك الموضوع . كانت الحكومة قبل سنة ١٨٤٨ تعتنى فى كثير من الاوقات بانتقاء العدول من المستنيرين . فتختارهم من بين المدرسين والموظفين ورجال الادب وامثالهم وهم الآن ينتخبون خصوصاً من صغار الباعة وصغار المحترفين والمستخدمين . وقد اندهش الكتاب الاختصاصيون اذ دل الاحصاء على تشابه القرارات وان اختلف تشكيل جماعة العدول . وأقر القضاة انفسهم بهذه الحقيقة مع كونهم من اعداء هذا النظام واليك ما كتبه موسيو (بيراردى جلاجر) أحد رؤساء محاكم الجنايات فى مذكراته « اصبح الآن اختيار العدول فى يد نواب

المجالس البلدية وهم يرفضون هذا ويقبلون ذاك على حسب أميالهم السياسية واحوال الانتخابات . وصارت اغلبية العدول من تجار اقل درجة ممن كانوا ينتخبونه قبل الآن ومن مستخدمى بعض المصالح . ومع هذا لم تتغير روح العدول ولا تزال قراراتهم كما كانت عليه لان جميع الافكار تمتزج بجميع المهن فى وظيفة القضاء ولان كثيراً من المنتخبين يجتهدون اجتهاد المؤمن الحديث فى الايمان . ولان الطبقة الدنيا لا تخلو من اهل المروآت »

والذى يهمنا من هذا القول هو النتيجة لصحتها الا المقدمات لضعفها . ولا غرابة فى هذا الضعف لان المحامين والقضاة لا يعرفون فى الغالب روح الجماعات ومنها العدول . والدليل على ذلك ماذكره الرئيس المشار اليه من أن (لاشو) وهو من اشهر المحامين أمام محاكم الجنايات كان لا ينفك عن اختصام جميع العدول المستنيرين . وقد برهنت التجارب . وما كان لغيرها ان يقيم هذا البرهان . على ان ذلك العمل كان عقيما حتى ان النيابة والمحاماة تركتا هذه العادة فى باريس . ولم تتغير القرارات كما أشار اليه موسيو « جلاجو » فلا هى احسن مما كانت

عليه ولا هى اردأ منه

العدول كغيرهم من الجماعات يتأثرون بالمشاعر كثيراً ولا يتأثرون بالمعقول الا قليلا فهم كما قال احدالمحامين« لا يثبتون امام امرأة ترضع طفلها او امام صغار يتامى اذا نظروا اليهم »

قال موسيو (جلاجو) : ويكفى ان تكون المرأة ظريفة لتنال عطف العدول

العدول قساة القلوب على من يرتكب الجرائم التى يخشون هم منها . وهذه الجرائم هى التى تهم الهيئة الاجتماعية ـ ورحماء بمرتكبى الجرائم التى مصدرها الغيرة والحب وهكذا .

فقلما يقسون على البنات الامهات اللاتى يقتلن مواليدهن ولا على البنت يخدعها الخادع ويهجرها فترميه بماء النار . وذلك لان العدول يشعرون انه لاخطر من مثل هذه الجرائم على الهيئة الاجتماعية وأنه ما دام القانون لا يحمى البنت التى هجرها من خدعها يكون نفع جنايتها اكبر من ضررها لان فى ذلك للخداع مزدجراً (١)

---

(١) مما تجب ملاحظته ان هذا الفرق التى جاء بها العدول لا عن قصد بين الجرائم المضرة بالهيئة والتى لا تكاد تضرها لا

والعدول كبقية الجماعات يبهرها النفوذ . لاحظ الرئيس (جلاجو) انهم ديموقراطيون فى جمعهم شرفاء فى عواطفهم فالاسم . والحسب . والثروة الطائلة . والشهرة والاستعانة . بمحام ذائع الصيت . وكل شيء يتفرد به الرجل ويظهر به كل ذلك عدة كبيرة وسلاح قوى فى يد المتهمين

اراد بعضهم بيان الطريقة التى ينبغى استعمالها فى هذا المقام فوصف احد محامى الانجليز وكان ذاشهرة فائقة بنجاحه امام محاكم الجنايات ومما قاله :

اول مايجب على المحامى اللبيب الاهتمام به تعمد التأثير على شعور

يخلو من صواب اذ يجب ان يكون الغرض من القوانين الجنائية حماية الهيئة من المجرمين المضرين بها لا الانتقام لها مطلقا . غير ان الغالب على واضعى قوانيننا وعلى قضاتنا هى فكرة الانتقام التى كانت سائدة فى زمن الشرائع القديمة . ودليلنا على هذا الميل في قضاتنا ان الكثير منهم لا يزال يأبى العمل بقانون (بيرانجيه) الذى يبيح ايقاف التنفيذ فلا يقضى المحكوم عليه عقوبته الا اذا عاد فأجرم مع ان جميع القضاة يعلمون جيدا ان تنفيذ العقوبة الاولى يجر حتما الى العود كما يؤيد ذلك الاحصاء . (لعل ذلك مبالغ فيه م (وكانى بالقضاة يعتقدون انهم اذا افلتوا محكوما عليه لايكونون قد انتقموا للامة فهم يفضلون خلق مجرم يتعود الاجرام على عدم الانتقام

العدول . والاقلال من التقرير والاستدلال او اختيار السهل البسيط من الادلة العادية كما هو الشان مع بقية الجماعات (كان يترافع وهو يرقب حركات العدول ويحين مناسبة الوقت فكان يقرأ فى وجوههم اثر كل جملة وكل كلمة بما أوتى من الفراسة والتجارب ليعرف ما ينبغى بعد ذلك وكان يتفرس اولا العدول الذين صاروا من جانبه ويخطو معهم فى خطابه الخطوة الاخيرة التى تمكنه من انحيازهم اليه ثم يلتفت لمن يشعر منه الانحراف عنه ويجتهد فى استكناه سبب ميله عن المتهم . وهذا ادق مافى عمل المحامى . لان الاسباب التى تبعث الرغبة فى الحكم على رجل بالعقوبة كثيرة بقطع النظر عن كون الحكم عدلا ام ظلما)

ولقد تلخص فن الخطابة فى هذه الاسطر على قلتها وبان ان السبب فى عدم تأثير ما حضر منها من قبل هو اضطرار الخطيب الى تغيير الكلام طبقاً لاثره فى نفوس السامعين

وليس من الضرورى ان يكسب الخطيب ميل جميع العدول . بل يكفيه اكتساب قلوب الرؤساء الذين هم قادة البقية وبهم يتكون رأى الاغلبية . فالذى يقود العدول انما

هم نفر قليل منهم كما يقع ذلك فى كل الجماعات . قال المحامي الذى مر ذكره « عرفت بالتجربة انه متى حان وقت اصدار القرار يكفى واحد أواثنان من أهل العزيمة فى الرأى لاقناع البقية »

فالواجب اذن اقناع هذين الاثنين او الثلاثة . باستعمال الحذق فيما يلقى فى نفوسهم . واول ما ينبغى فعله هو الاجتهاد فى اعجابهم لان الرجل فى الجماعة اذا اعجبه المتكلم صار قريب الاقتناع . وقبل بالسهولة الادلة التى تعرض عليه كيفما كانت فقد قرأت فى بعض الكتب عن موسيو (لاشو) الحكاية الآتية (من المعروف عنه أنه كان فى مرافعاته امام محكمة الجنايات لا يفتر عن ملاحظة العدلين او الثلاثة الذين كان يتفرس فيهم انهم اصعب مراساً من البقية وانهم اهل النفوذ فيهم . وكان يتمكن غالباً من التغلب عليهم واتفق له مرة فى الريف انه لحظ بين العدول واحداً استعمل لاقناعه اشد وسائل الخطابة ثلاثة ارباع الساعة على غير جدوى . وكان جالساً فى أول الصف الثانى وهو السابع حتى كاد اليأس يدرك الخطيب وبينما لاشو مندفع فى البيان والبلاغة تتدفق

من فيه اذا به قطع الكلام فجأة والتفت الى رئيس المحكمة قائلا « سيدى الرئيس اتسمحون فتأمرون باسدال الستار الذى امامنا فان الشمس تخدش عينى حضرة العدل السابع » فاحمر وجه العدل السابع وتبسم وشكر وقد صار من صف الدفاع)

قام فى هذه الايام كثير من الكتاب ومنهم الفطاحل وشددوا النكير على نظام العدول مع ان وجودهم هو الضمان الوحيد الذى يقينا شر الخطأ الكثير الوقوع من طائفة لا رقيب عليها (١) ومنهم من يذهب الى وجوب حصر اختيار العدول فى طبقة المستنيرين ولكنا

---

(١) المحاكم عندنا هى المصلحة الوحيدة التى تكاد تكون لا مراقبة على اعمالها ومع ما اتته الامة الفرنساوية من الثورات لا يوجد فيها حتى الان قانون مثل قانون (الافراج) الذى تفتخر به الامة الانكليزية . نحن قد نفينا جميع الظالمين . ولكنا اقمنا فى كل مدينة قاضيا يتصرف فى شرف اهل الوطن وحريتهم كما يشاء . قويضى تحقيق خرج حديثاً من مدرسة الحقوق وله القدرة المنفرة على سجن أعلى الوطنيين منزلة كما يريد لمجرد الشبهة منه فى اجرامهم . وليس من يحاسبه على عمله . وله القدرة على ابقائهم فى سجنهم ستة اشهر بل سنة

اقنا الدليل على ان قراراتهم فى هذه الحالة لن تختلف مع التى تصدر الآن . ومنهم من يتذرع بالخطأ الذى يقع من العدول فيذهب الى تبديلهم بالقضاة . ونحن لا ندرى كيف غاب عنهم ان ذلك الخطأ الذى بالغوا فى نسبته الى العدول انما سبقهم به القضاة . لان المتهم لا يمثل بين يدى اولئك الا بعد اعتباره جانيا من كثير من هؤلاء . من قاضى التحقيق ورئيس النيابة ودائرة الاتهام . الا يرى انه لو سلم الحكم النهائى عليه الى القضاة بدل العدول فاتته الفرصة الوحيدة للوصول الى اظهار برأته . ان يخطىء العدول فقد اخطأ القضاة من قبلهم . فالوزر على هؤلاء وحدهم فى كل خطأ قضائى مفزع كالحكم الذى صدر أخيراً على الطبيب (فلان) اذ اضطهده احد قضاة التحقيق المعروف بقصر العقل لان

بحجة التحقيق ثم يخلى سبيلهم ولا ضمان لهم عليه ولا يكلف لهم باعتذار يفعل ذلك بمقتضى (امر القبض) وهومساو (لخطاب السجن) الذى عرفه اباؤنا الاولون غير ان هذا الاخير كان لا يجوز استعماله الا للعظماء من الاكابر وأما الاول فهو اليوم فى يد طبقة من الوطنيين هم بعيدون جداً عن ان يكونوا الاكثر تهذيباً والاكبر استقلالا

شابة تكاد تكون من البله اتهمته بأنه اسقط حملها مقابل جعل قدره ثلاثون فرنكا . ولولا ثورة الرأى العام وصدور العفو عنه لذلك عقب الحكم عليه لارسل الى سجن الاشغال الشاقة . ظهر فى هذه الحادثة ان خطأ الحكم كان فاحشاً بمقدار اجماع الناس على وضوح براءة المحكوم عليه . وكان القضاة انفسهم مقتنعين بذلك لكن تحزبهم لطائفتهم دفعهم الى استنفاد كل وسيلة ليمنعوا العفو عن ذلك البرئ . والحاصل انه متى كانت الدعوى ذات احوال خصوصية فنية لايدركها العدول ترى هؤلاء مضطرين الى الاخذ بأقوال النيابة العمومية لاعتقادهم ان الذى حقق التهمة قضاة لهم خبرة تامة بمثل هذه المسائل . وليت شعرى من يكون المخطئ الحقيقى حينئذ آلعدول أم القضاة . يجب ان نحرص على العدول حرصنا على النفيس فربما كانوا هم الجماعة التى لا يمكن ان يقوم الفرد مقامها . وهم الذين يتيسر لهم وحدهم ان يخففوا من شدة القانون . فهو بمقتضى كونه واحداً لجميع الناس اعمى يضع القواعد مطلقة ولا يعرف الشواذ . اما القضاة فلا تدخل الشفقة عليهم من باب . ولا يعرفون الا النص . وهم قساة

بمقتضى صناعتهم . فلا يفرقون فى الحكم بين وغد ثقيل النفس المجرمة وفتاة هجرها من غواها وعضها الفقر فوارت مولودها . لكن العدول يشعرون بفطرتهم ان تلك الفتاة التى خدعت اقل اجراما من الذى خدعها ولا سلطان للقانون عليه . وانها جديرة بكل عطف وحنان

لقد عرفت حقيقة روح الطوائف كما عرفت روح الجماعات الأخرى . ولكنى لم اوفق الى معرفة حالة اكون متهماً فيها بجرم وافضل القضاة على العدول ليحكموا فيها . لان لى بعض الامل فى البراءة امام هؤلاء والامل ضعيف امام اولئك . حذار من سطوة الجماعات وحذار ثم حذار من سطوة بعض الطوائف فقد تلين الاولى ولكن الثانية لا تلين ابداً

الفصل الرابع

جماعات الانتخاب

—

الصفات العامة لجماعات الانتخاب ـ طريقة اقناعها ـ الصفات التى يجب ان تكون للمترشح ـ ضرورة النفوذ ـ السبب فى ان العملة والصناع قلما ينتخبون النائب من بينهم ـ سلطان الالفاظ والجمل على الناخب ـ صورة المناقشات الانتخابية ـ كيف يتكون رأى الناخب ـ سلطان اللجان ـ في انها تمثل اشد صور الاستبداد ـ لجان الثورة الفرنساوية ـ من المتعسر الاستعاضة عن الاقتراع العام كيفما كانت قيمته ضعيفة ـ فى بيان ان النتيجة تكون هى بذاتها اذا قصر حق الانتخاب على فريق من الاهلين ـ فى معنى الاقتراع العام عند كل امة

—

من الجماعات المختلفة العناصر جماعات الانتخاب اعنى

المجامع التى تنتخب القائمين ببعض وظائف معينة ولما كان عملها محصوراً فى دائرة محدودة وهو اختيار واحد من بين افراد معينين لا يظهر فيها الا بعض الصفات التى تقدم بيانها . فالذى يشاهد عندها ضعف القدرة على التعقل . وفقدان ملكة النقد . وسرعة الغضب . والتصديق . والسذاجة . ويرى فى قرارتها اثر القواد واثر العوامل التى مرَّ ذكرها . اى التوكيد . والتكرار . والنفوذ . والعدوى

فلنبحث فى طريقة اقناعها لانا اذا عرفنا انجع الوسائل فى ذلك وضحت لنا روحها تمام الوضوح

اول صفة يجب ان تكون للمترشح هى النفوذ . ولا يقوم مقام النفوذ الذاتى اذا فقد الا النفوذ المكتسب من الثروة . حتى ان الذكاء الفائق بل النبوغ ليسا من الوسائل التى تؤدى الى النجاح كثيراً فى هذا الباب

ولا غنى للمترشح عن النفوذ لانه العدة الكبرى التى تمكنه من التسلط على النفوس بدون ان يتناظر فيه والسبب فى كون العملة والصناع لا ينتخبون من ينوب عنهم من صفوفهم هو انه لا نفوذ عندهم لمن خرج من بينهم واذا

اختاروا فى النادر واحداً من طبقتهم فانما ذلك لكى يضربوا به أحد العظماء كمعلم كبير الشأن ممن لهم سطوة على الناخب دائماً فينزع هذا الى مخالفته متخيلا انه يصير بذلك سيداً عليه لحظة من الزمان

الا ان النفوذ وحده لا يضمن النجاح لصاحبه فى الانتخاب لان الناخب يجب ان يتملق ويمنى بنيل ما يصبو اليه من الرغبات فينبغى ان يساق اليه من التملق ما يعجزه حمله وان لا يحجم عن التكفل له بما يخرج عن حد المعقول من الوعود والامانى . فان كان عاملا فكل ذم فى معلمه قليل . اما المترشح المزاحم فانه يجب ان يدخل اليه من طريق التوكيد والتكرار والعدوى لاثبات انه أخس الناس وانه مجرم أثام . ومن البديهى انه لا محل لاقامة دليل ما على ذلك . فان كان الخصم لا يعرف روح الجماعات مال الى تبرئة نفسه بالحجة والبرهان بدل ان يقابل التوكيد بالتوكيد ومن ثم يفقد كل أمل فى النجاح

أما البرنامج الذى يحرره المترشح ببيان ما ينوى من الاعمال فينبغى ان لا يكون صريحاً حتى لا يتخذه خصومه

حجة عليه . لكن يجب ان يطيل في البرنامج الشفهى ما استطاع ولا خوف عليه من الوعد باجراء اعظم الاصلاحات فان ذلك يؤثر حالا فى نفوس الناخبين وهو فى حل منه آجلا اذ القاعدة المطردة ان الناخب لا يبحث ابداً فى هل المنتخب جرى طبقاً لتصريحاته التى كانت السبب فى انتخابه

ومن هنا يتبين ان جميع عوامل الاقناع التى تقدم ذكرها هى فى جماعات الانتخاب . بقى علينا ان نذكر الالفاظ والجمل مما بينا تأثيره السحرى فى النفوس . الخطيب الذى يعرف كيف يتصرف بها يمكنه ان يوجه الجماعة حيث يشاء . فلمثل (رأس المال الدنس) و (اولئك المحتالين الادنياء) و (العامل الجليل) و (جعل الاموال شائعة بين الجميع) وهكذا . لمثل هذه الالفاظ تأثير لا يزال كبيراً وان كان الناس قد صاروا يمجونها . فاذا كان المنتخب ممن أسعدهم الحظ ووفق لايجاد صنعة جديدة خالية من المعنى المحدود لتصيب بذلك اهواء النفوس المختلفة كان نجاحه باهراً وفوزه محتما . والذى أوقد نار الثورة الدموية فى اسبانيا سنة

١٨٧٣ انما هو لفظ من تلك الالفاظ السحرية ذات المعانى المضطربة التى يفهم منها كل واحد حسب ما يشتهى . ولقد يحسن بنا ايراد كيف كان ذلك نقلا عن أحد كتاب ذاك الحين قال « ظن المتطرفون ان الجمهورية الجامعة للسلطة عبارة عن ملوكية خفية فارضاهم مجلس الامة وقرر بالاجماع أن تكون الجمهورية اتحادية من غير أن يعرف أحدهم معنى ما أقر عليه . لان الصنيعة كانت قد أخذت بلب الناس أجمعين فسكروا بخمرتها . وغالوا فى طلاوتها وقالوا لقد قامت فى الارض مملكة الفضيلة والسعادة » . وكان الجمهور يرى من المسبة العظيمة ان خصمه لا يعترف له بنعت (الاتحادى) . وكان بعض الناس يسلم على بعض بقوله (سلام على الجمهورى الاتحادى) . أما المعنى الذى كان يحضرهم من هذه التسمية فمنهم من كان يذهب الى انه عبارة عن اطلاق الاقاليم من كل قيد ليحكموا أنفسهم باستقلال . ومنهم من كان يظن ان النظام الجديد يشبه نظام الولايات المتحدة فى امريكا . واخرون يرون انه توزيع السلطة وتجزئة طريقة الحكم فى البلاد . والبعض كان يفهم ان كل سلطة قد بادت وان الوقت حان لتصفية حساب

الهيئة الاجتماعية . ونادى الاشتراكيون فى برشلونه وفى الاندلس باستقلال كل قرية بنفسها . وذهبوا الى وجوب انتخاب عشرة آلاف نائب عن جميع البلاد الاسبانية كلهم احرار لا يحكمهم غير انفسهم . وقالوا بالغاء الجيش والشرطة ولم يمض الاّ قليل حتى أخذت الثورة تمتد فى الاقاليم الجنوبية من مدينة الى مدينة ومن قرية الى أخرى . فكانت كل بلدة فرغت من اعلان استقلالها تعمد الى تخريب الاسلاك البرقيه والسكك الحديدية لتقطع المواصلة بينها وجيرانها ومدريد ولم تبق نزلة حقيرة الاّ نزعت الى الاستقلال بنفسها . وحل محل الاتحاد تمزق فى الاقاليم علاماته التوحش والنار والدماء فأقيمت المذابح فى كل صقع وناد

اما تأثير المعقول فى جماعات الانتخاب فلا يجهل ضعفه الاّ الذين لم يطلعوا مرة على ما يجرى فى اجتماعات الانتخابات لانها لا تحتوى على شىء غير تناول التوكيدات المتناقضة . والشتائم والمخازى . ولكنها مجردة عن كل حجة وبرهان . واذا اتفق وساد السكون لحظة فذلك لان احد الحاضرين ممن لا يقتنعون بالسهولة خرج وسط الجمع ليلقى على المترشح

سؤالا يعجزه الجواب عنه . وذلك يلذ دائما للسامعين . الاّ ان هذه اللذة لا تدوم طويلا لان صوت السائل لا يلبث ان يغيب فى صخب المعارضين وانى ناقل للقراء عن الجرائد اليومية شيئا مما يجرى فى الاجتماعات العمومية ليكون مثلا على ما تقدم . (اقام بعضهم اجتماعاً وطلب من الحاضرين انتخاب الرئيس فقامت القيامة واسرع الفوضويون الى محل اللجنة ليستولوا عليه ووقف فى وجههم الاشتراكيون فتلاكم الفريقان وانهالت الشتائم من مشاء . وبائع ذمته . وهكذا وخرج احد الحاضرين وعينه مورمة . وانتهى الحال ببقاء اللجنة فى مكانها وسط الهياج والاصطخاب . وتمت الرئاسة للوطنى فلان . واخذ الاشتراكيون يقطعون عليه الكلام وهو يحمل عليهم حملة منكرة . فقابلوه بالوغد . قاطع الطريق . الدنىء وهكذا من النعوت . فقابل الخطيب ذلك بنظرية مقتضاها ان الاشتراكيين من البله او النصابين)

وهذا مثل آخر (نظم الحزب المنحاز لالمانيا مساء امس فى قاعة التجارة بشارع كذا اجتماعاً كبيراً استعداداً لعيد عمال اول شهر مايو . وتقرر ان يكون الهدوء سائداً والسكون

شاملا وقد طعن الوطني فلان على الاشتراكيين بأنهم اوغاد نصابون . وعليه تشاتم الخطباء والحضار وانتقلوا من المشاتمة الى الملاكمة . فاشتركت الكراسي والموائد في الخصام الخ)

ولا يحسبن القراء أن هذا النوع من الخطابة خاص بفريق من الناخبين وانه آت من درجتهم الاجتماعية بل تلك صورة تتصف بها المناظرة في كل جمعية أيًا كانت حتى التي تتألف من مستنيرين . وقد بينت ان الافراد في الجماعات يتقاربون الى حد التساوي في ملكات العقل . ونحن نجد الدليل على ذلك في كل مكان . اليك مادار في اجتماع كان الحاضرون فيه كلهم من الطلبة نقلا عن جريدة الطان الصادرة في ١٣ فبراير سنة ١٨٩٥ « كلما اوغل الليل ازداد الهياج ولا أظن ان خطيباً واحداً لفظ جملتين من دون ان يقطع الكلام عليه . اذ الصراخ كان يعلو في كل لحظة تارة هنا وتارة هناك وآونة من جميع الجهات هؤلاء يصفقون واولئك يصفرون وكانت المناقشات الشديدة تحتدم بين السامعين فترى العصى تهدد الرؤوس والضرب على الموائد كالنغمة .

والاصطخاب مقذوفاً الى المشوشين . هذا يقول اخرجوه . وذاك يصيح . الى منبر الخطابة ثم قام موسيو فلان وجعل يخاطب الحضور بقوله هذا اجتماع ما اشد قبحه وجبنه . هذا اجتماع وحشى . دنئ . رذيل . متعصب . ثم اعلن انه سيهدمه الخ)

هنا يرد على الخاطر كيف يتمكن الناخب من تكوين رأيه وسط هذه الضوضاء . غير ان هذا الخاطر يؤذن بأن صاحبه يجهل تمام الجهل مقدار الحرية التى توجد فى المجامع . وان اراء الجماعات انما تأتيها من طريق التسلط عليها لا من طريق الاقناع . والذى يكون الآراء ويجرى الانتخاب فى الحالة التى تبحث فيها هى اللجان . واللجان يقودها فى الغالب بائعو النبيذ لما لهم من السيطرة على العمال بواسطة تسامحهم معهم فى تأجيل ثمن ما يشربون . قال موسيو (شيرر) وهو من اكبر انصار الديموقراطية فى الوقت الحاضر « أتعرفون ماهى لجنة الانتخاب . انها عبارة عن مفتاح نظاماتنا وأهم قطعة من الآلة السياسية عندنا . ان الذى يحكم فرنسا الآن هى اللجان[1] »

---

(١) اللجان على اختلاف مسمياتها كالنوادى والشركات هى

لذلك ليس من الصعب جداً التسلط على اللجان اذا كان المترشح مقبولا وذا يسار يفى بما يحتاج اليه فى مثل ذلك . فثلاثة ملايين فرنك كفت باعتراف المتبرعين انفسهم لانتخاب القائد (بولونجيه) فى مقاطعات عدة

تلك روح جماعات الانتخاب مثلها مثل روح بقية الجماعات لا أحسن ولا اردأ

وعليه فانى لا أستخلص مما تقدم نتيجة ضد الانتخاب

اشد الجماعات خطراً من حيث المقدرة . فهى التى تمثل اعظم جمعية لا اثر للشخصية فيها . ولذلك كانت اقسى الجماعات يداً واكبرها تسلطا فلا يشعر القواد الذين يتكلمون بلسان اللجان ان هناك تبعة ترجع اليهم . فهم يضربون فى كل صوب آمنين . وما كان يخطر على بال اشد المستبدين عسفا ان يأمر بمثل ما امرت به اللجان الثورية التى فرقت شمل رجال (الاتفاق) وحصدتهم حصداً كما قال (باراس) . ظل (روبسبيير) قابضا على الحكم كله بيده طول الزمن الذى كان ينطق فيه باسم اللجان فلما اختلف معها بسبب التشدد فى الرأى وانفصل عنها ادركته الداهية . اجل ان حكم الجماعات هو حكم اللجان اعنى حكم القواد ولن يهتدى الانسان الى حكم اشد واقسى .

العام . ولو ان الامر بيدى لابقيته كما هو لاسباب عملية تنتزع من بحثنا فى روح الاجتماع . فلنذكرها

لا يسع أحداً انكار مضار الانتخاب العام لانها واضحة كالشمس . فلا يمارى فى ان المدنية عمل طائفة صغيرة من أهل العقول الراقية شبيهة بقمة هرم تتسع طبقاته كلما انحطت الدرجة العقلية . وتلك الطبقات تمثل الطبقات البعيدة للأمة. وعظمة المدنية لا تتوقف طبقاً على رأى العناصر الوضيعة التى ليس لها من القيمة الا كثرة العدد . ومن المحقق أيضاً ان اراء الجماعات خطرة فى غالب الاحيان فقد كلفتنا حتى الآن غارات كثيرة على بلادنا واذا تم لها ما تعده من فوز الاشتراكية فمن المظنون ان اهواء سيادة الامة تكلفنا أضعاف ذلك أيضاً

الاّ ان هذه المطاعن القوية نظراً تفقد قوتها تماماً من الجهة العملية اذا فكرنا فى قوة الاراء التى لا تغالب متى صارت عقيدة من العقائد وعقيدة سيادة الجماعات لا تختلف من الجهة النظرية مع العقائد الدينية التى وجدت فى القرون الوسطى من حيث الضعف فى كل غير ان ما كان لهذه من

القوة فى ذلك الزمان هو للاولى فى هذه الايام فهى منيعة حينئذ كما كانت افكارنا فى تلك القرون . لنفرض ان رجلا من أهل الافكار الحرة اى المطلقة السراح وجد فى القرون الوسطى أتظن انه كان يتحرك لمقاومة الافكار الدينية المتمكنة فى القوم بعد ان يرى مالها من السيادة المطلقة . أو كان يفكر فى انكار وجود الشيطان وحرمة يوم السبت اذا مثل امام قاض يريد احراقه بالنار بتهمة انه حازب الشيطان او ذهب الى المعبد يوم السبت . انه لا مناقشة مع الجماعات كما انه لا جدال مع العواصف . ولعقيدة الاقتراع العام فى ايامنا من القوة ما كان للعقائد الدينية فى ذلك الزمان . فترى الخطباء والكتاب يذكرونه مقروناً بالتجلة والاحترام مصحوباً بملق لم يعرفه لويز الرابع عشر . وجب اذن ان يسار معه كما يسار مع العقائد الدينية . وللزمان ان يفعل فى الجميع فعله على انه لا فائدة من التحفز لزعزعة هذه العقيدة مع وجود ما يؤيدها فى الظاهر . ولقد أصاب موسيو (توكفيل) حيث قال « ليس لاحد فى زمن المساواة اعتقاد فى أحد . لما بين الكل من التشابه . غير ان هذا التشابه يجعلهم يثقون

تمام الثقة بحكم الجمهور لانهم لا يتصورون أن الحقيقة لا تكون من جانب العدد الاكبر وفيه ذلك الجم الغفير من المستنيرين »

قد يذهب بعضهم الى ان حالة انتخابات الجماعات تتحسن بقصر حق الانتخاب على أهل الكفاآت . اما انا فلا أسلم بذلك لحظة واحدة للسبب الذى قدمته وهو انحطاط درجة الجماعات العقلية على اختلافها كيفما كان تركيبها . فان الناس يتساوون فى الجماعة دائماً . وليس رأى الاربعين عضواً الذين تتركب منهم جمعية المعارف فى مسألة عامة احسن من رأى اربعين سقاء . ولا اظن ان رأيا أقره الاقتراع العام وشدد النكير عليه من أجله كاعادة الامبراطورية كان يتغير لو ان المقترعين كانوا كلهم من أهل الادب والعلماء . لان الذى يجعل الرجل ذا بصر بالاحوال الاجتماعية ليس كونه يعرف اللغة اليونانية او الرياضيات او كونه معمارياً او طبيباً بيطرياً او طبيباً او محاميا . انظر الى علماء الاقتصاد عندنا ترهم كلهم من المستنيرين واغلبهم مدرسون او اعضاء فى جمعية المعارف ومع ذلك لم يتحدوا على مسألة عامة ابداً كحماية

التجارة او توحيد معدن النقود وهكذا . ذلك لان علمهم ليس الا صورة مخففة من الجهل العام . وكل جهل يستوى امام المسائل الاجتماعية التى لا حصر للمجهول فيها

وعلى ذلك اذا قصرنا الانتخاب على قوم افعموا علماً لا نصل الى نتيجة احسن مما لو تركناه فى يد اهل زماننا لان اولئك العلماء يعملون على الاخص بحسب مشاعرهم ومنافع طائفتهم . فلا نكون قد ذللنا شيئا من العقبات التى امامنا بل نكون قد زدنا عليها بدخولنا تحت نير الاستبداد الذى تنفرد به الطوائف

نتيجة انتخاب الجماعات واحدة وهو انما يترجم عن الرغائب والحاجات التى للشعب بمقتضى فطرته سواء كان الانتخاب عاماً او محصوراً فى طبقة او طبقات . فى جمهورية او ملوكية . فى فرنسا او فى البلجيك أو اليونان او البرتقال او اسبانيا . ومتوسط المنتخبين فى كل امة يمثل روح شعبها . وهو لا يكاد يتغير من جيل الى جيل

وهنا نجد مرة اخرى نظرية الشعب ذات الاهمية الكبرى وتلك النظرية الاخرى المشتقة منها وهى ضعف تأثير النظامات

والحكومات فى حياة الامم . هذه الامم انما تسير طبقاً لأرواح شعوبها . وبعبارة اخرى طبقاً لما ورثته عن اباءها وهو ما تمثله تلك الروح . فالشعب هو مستودع احتياجات كل يوم . وتلك الاحتياجات هى الملوك الخفية التى بيدها زمام مآلنا

obeikandl.com

الفصل الخامس

المجالس النيابية

—

أكثر الصفات العامة للجماعات المختلفة العناصر غير الاسمية توجد في الجماعات النيابية — بساطة الافكار — الانفعال وحدوده — الافكار الثابتة والافكار المتقلبة — السبب في ان التردد هو الغالب — شأن القواد — سبب نفوذهم — هم الذين لهم الكلمة في المجلس بحيث ان رأى الجميع يرجع الى رأى عدد محدود من الاعضاء — سلطان القواد الشامل — اركان خطابتهم — الالفاظ والصور — في ان الضرورة تقتضى ان يكون القوادمقتنعين بما يلقون من الاراء وان يكونوا من قصار النظر — في انه يستحيل ان تقبل اراء الخطيب الذى لا نفوذ له — غلو مشاعر الهيئة سواء كانت طيبة أو رديئة — في انها تتحرك احيانا بحركة نفسية — في جلسات « المتعاهدين » — في الاحوال التى لا يكون للهيئة فيها صفة الجماعة — تأثير الاختصاصيين

فى المسائل الفنية — منافع النظام النيابى ومضاره فى كل أمة — فى ان النظام موافق لاحتياجات العصر ولكنه يؤدى الى تبذير الاموال وتحديد جميع الحريات شيئاً فشيئاً — خلاصة الكتاب

—

المجالس النيابية جماعات مختلفة العناصر غير اسمية . وهى تتشابه كثيراً فى صفاتها وان اختلفت طريقة تكوينها بحسب الامم والازمان . ولروح الشعب فيها أثر هو اضعاف تلك الصفات او تقويتها . الاّ انه لا يمنع من ظهورها البتة . وتتشابه المجالس النيابية فى البلاد المختلفة كاليونان وايتاليا والبرتقال واسبانيا وفرنسا وأمريكا من حيث المداولات والقرارات تشابها عظيما فتتشابه الصعوبات الناشئة عن ذلك امام جميع الحكومات

النظام النيابى هو اقصى ما تصبو اليه الامم المتحضرة فى العصر الحاضر لانه يعبر عن فكر سائد فى الناس وان كان علم النفس يراه خطأ وهو ان العدد الكثير أقدر من العدد القليل على البت فى الامور بالعقل والروية والاستقلال

والصفات المميزة للجماعات توجد فى المجالس النيابية

من بساطة الافكار . وسرعة الانفعال وقابلية التأثر برأى الغير . والغلو فى المشاعر . ونفوذ القواد . الاّ ان لها بمقتضى تكوينها الخاص بعض صفات لا تشترك فيها مع بقية الجماعات واليك بيانها

اما بساطة الافكار فمن اهم مميزات المجالس النيابية فتشاهد عند جميع الاحزاب خصوصا عند الامم اللاتينية الميل الى حل المسائل الاجتماعية العويصة بابسط المبادئ النظرية وبقوانين عامة يطبقونها على جميع الاحوال . ومن الواضح ان المبادئ تختلف باختلاف الاحزاب . لكن الرجل فى الجماعة يرمى دائما الى تقدير تلك المبادئ باكثر من قيمتها ويذهب فيها الى آخر ما تؤدى اليه من النتائج . لذلك كانت الافكار التى تمثلها المجالس النيابية هى المتطرفة

واكمل مثال لبساطة المجالس النيابية جماعة (اليعاقبة) ايام ثورتنا الكبرى . فقد كانوا كلهم من ارباب المذاهب وكلهم من المناطقة . وكانت رؤوسهم ملأى بالكليات المقولة بالتشكيك . لذلك كان همهم تطبيق المبادئ المقررة من غير التفات لظروف الاحوال . فصح ما قيل عنهم من انهم عبروا

الثورة ولم يروها . فهم قوم اتخذوا مبادئهم مرشداً وظنوا انهم يتمكنون بها من خلق هيئة اجتماعية جديدة ويرجعون بالمدنية الراقية الى مدنية كانت للامة قبل تطورها الحالى . كذلك كانت الوسائل التى استعملوها فى تحقيق احلامهم من ابسط الوسائل . فاذا اعترضتهم عقبة استعملوا العنف فى تذليلها وكانت الروح السارية فيهم جميعاً واحدة وان كانوا فرقا شتى

واما التأثر بالرأى فقابلية المجالس النيابية له شديدة . والتأثير يأتى من قبل القواد ذوى النفوذ كما هو الشأن فى الجماعات كلها الاَّ ان لقابلية المجالس النيابية فى هذا الباب حدودا واضحة يجب ذكرها .

فلكل عضو رأى ثابت فى المسائل المتعلقة باقليمه لا يمكن زحزحته عنه . ولا تؤثر فيه حجة او دليل . فلو بعث (ديموستين) ما امكنه ان يقنع عضوا بعدم وجوب حماية المهن التى لبعض اصحابها النفوذ الاول فى الانتخابات . ذلك لان التأثير الذى وقع عليه اولا من الناخبين اوجد له رأياً ثابتاً وعطل فيه ملكة الاقتناع بما يخالفه . ولعل احد نواب مجلس العموم الانكليزى ممن طال عهدهم فيه كان يشير الى تلك الافكار التى رسخت

من قبل فى ذهن كل عضو حتى صارت لا تقبل التغيير ولا التعديل لتأثير ضروريات الانتخاب حيث قال « سمعت مدى خمسين عاماً قضيتها فى (ويستمنستر) الا قا من الخطب فالقليل منها حملنى على تغيير رأيى ولكن لم يكن لواحدة منها ان تحملنى على تغيير صوتى عند الاقتراع »

واذا دارت المناقشة فى مسألة عامة كاسقاط الوزارة او تقرير ضريبة جديدة وهكذا تقلبت الاراء وظهر نفوذ القواد . لكنه لا يساوى مالهم فى الجماعات الاعتيادية . اذ لكل حزب قواد قد يعادل نفوذهم نفوذ قواد الحزب الآخر . فيصبح الاعضاء بين مؤثرين متضادين ولذلك يترددون . فيقر الواحد منهم على أمر وبعد ربع ساعة يعمل بنقيضه كأن يقبل فى القانون نصا يهدم المبدأ الذى اقامه عليه مثال ذلك الاقرار على قانون يبيح لاصحاب المعامل حق اختيار العمال وطردهم . ثم الاقرار فى الجلسة ذاتها على تعديل يجعل هذا الحق أثرا بعد عين

وضح مما تقدم ان لكل مجلس فى كل دور افكاراً ثابتة واخرى غير ثابتة ولما كان الغالب فيما يعرض عليه هى المسائل العامة كان

التردد فى الاراء هو الغالب لما يجتمع فى نفس كل عضو من تأثير الناخبين وتأثير القواد فى المجالس

على ان القواد هم أصحاب الكلمة فى أغلب المسائل التى ليس للاعضاء فيها رأى ثابت من قبل . وضرورة أولئك القواد ظاهرة . لانهم يوجدون فى كل هيئة نيابية عند جميع الامم بعنوان رؤساء الفرق . أولئك الرؤساء هم السلاطين فى كل مجلس . لان الرجل فى الجماعة لا يستغنى عن السيد . ومن هنا كانت قرارات المجالس النيابية لاتمثل الاّ رأى عدد صغير من اعضائها

والقليل من تأثير القواد فى تلك المجالس راجع الى فصاحتهم . وكثيره مستمد من نفوذهم . برهانه انهم اذا فقدوا نفوذهم انعدم تأثيرهم

وهذا النفوذ شخصى لادخل فيه للاسم والشهرة . ومن غرائب الامثلة ما أتى به موسيو (جول سيمون) فى عرض كلامه في مجلس نواب سنة ١٨٤٨ الذى كان عضواً فيه قال :

« لم يكن لويز نابوليون شيئاً مذكوراً قبل ان يتم له السلطان بشهرين

ارتقى (فيكتور هيجو) منبر الخطابة فلم ينل نجاحاً بل سمعه الناس كما يسمعون (فيلكس پايات) ولكنهم لم يصفقوا له مثله . قال لى (فولايل) عن (پايات) انه لا يحب افكاره ولكنه كاتب كبير وهو أكبر خطباء فرنسا . كذلك (ادجار كينيه) على علمه وقوة مفكرته لم يكن له شأن يذكر فان صيته ذاع قبل افتتاح المجلس فلما جاء اليه تخلفت عنه شهرته

والمجالس النيابية هى المكان الوحيد فى الارض الذى يضعف فيه نور الذكاء الفائق . فليس هناك للفصاحة قيمة الاّ ما وافق منها أحوال الزمان والمكان . ولا اهتمام الاّ بالحذم التى أديت للاحزاب لا للوطن . واذا كانت المجالس النيابية قد اكبرت شأن (لامارتين) سنة ١٨٤٨ و (تيير) سنة ١٨٧١ فما ذلك الا بتأثير الضرورة الشديدة الحالّة ولهذا بعد ان زال الخطر شفى الناس من واجب الشكران ومن الخوف معاً »

نقلت هذا القول للاستفادة من الحوادث الواردة فيه لا من البيان الذى اشتمل عليه لانه يدل على علم ناقص جداً باحوال النفس . اذ الجماعة لا تكون كذلك اذا عرفت لقائدها ما

قد يكون اداه من الخدم للوطن أو للاحزاب على حد سواء. والجماعة انما تطيع قائدها موقنة بسلطان نفوذه فيها من دون ان يقترن ذلك عندها بمنفعة او شكران

لذلك اذا كان للقائد نفوذ كبير فتسلطه عظيم . وكلنا يعرف هذا النائب الشهير الذى كانت له الكلمة العليا عدة سنين بما اوتى من النفوذ حتى فقد مركزه على أثر بعض الحوادث المالية . كانت اشارة منه تكفى لقلب الوزارة وقد اوضح احد الكتاب مقدار تأثير ذلك النائب فى الكلمات الآتية « انا مدينون لموسيو فلان وحده بكوننا اشترينا التونكين بثلاثة اضعاف ماتساويه وبكوننا لم نضع فى مدغشقر الا قدماً متزعزعة . وبكوننا غبنا فى مملكه كاملة جنوب نهر النيجر وبكوننا اضعنا ما كان لنا من النفوذ الخاص فى الديار المصرية الا ان نظريات موسيو (فلان) قد كلفتنا من الخسائر اكثر من مصائب نابوليون الاول[1]

---

(١) لعل المؤلف يشير الى موسيو كليمانسو الذى سمى هدام الوزارات ولو تأخر صدور هذا الكتاب الى الآن لغير المؤلف رأيه فى

على انه لا ينبغى تشديد النكير على هذا القائد وان كان قد كلفنا كثيراً لان اكثر نفوذه جاءه من تتبع الرأى العام . ولم يكن الرأى العام اذ ذاك فى المسائل الاستعمارية كما هو عليه الآن . ومن النادر ان يسبق القائد الرأى العام والغالب انه يسير خلفه ويتبعه فى الخطأ

للقائد فى اقناع قومه وسائل غير النفوذ هى التى ذكرناها مراراً . ولابد له فى قيادتهم من ان يكون قد وقف على حقيقة الروح السارية فيهم ولو من طريق الوجدان وعرف طريقة الكلام معهم . فينبغى له على الأخص ان يعرف مالبعض الالفاظ من التأثير الذى يجذب نفوس السامعين وان يكون على جانب من الفصاحة المخصوصة التى تقوم بالتوكيد الشديد الخالى من الدليل وبالصور الأخاذة المحلاة بالحجج الناقصة . هذه فصاحة موجودة فى كل مجلس من المجالس النيابية حتى البرلمان الانكليزى الذى هو اكثرها اعتدالا

قال الحكيم الانكليزى (ماين) « من السهل ان تقرأ دائما

الرجل القابض اليوم على زمام السياسة الفرنساوية المتربع فى رئاسة نظارها ونظارة خارجيها وله فى السياسة العامة مقام كبير (م)

مداولات لمجلس العموم مدارها تبادل كليات ضعيفة وشخصيات حادة فلمثل هـذه الصيغ الكلية تأثير كبير فى خيال أهل الديمقراطية المحضة. ومن الميسور على الدوام جعل الجماعة تقبل القضايا العامة اذا قدمت لها بالفاظ جذابة ولو كانت من القضايا التى لم يحققها أحد . وربما كانت لا تحتمل التحقيق »

يؤخذ من ذلك انه لاحـد لتأثير « الالفاظ الجذابة » المذكورة وكم أتينا على بيان قوة الالفاظ والجمل . وما ينبغى أن يختار منها مما يمثل صوراً مؤثرة . واليك جملة تمثل ماتقدم اقتطفناها من خطابة أحد قواد مجالسنا « يوم يركب السياسى الافين والفوضوى السفاك ظهر باخرة واحـدة تقودهما الى منفاهما فى الاراضى الحمية ذلك هو اليوم الذى يتحادث فيـه الرجلان ويظهر كل واحد منهما لاخيه ممثلا احدى صورتى نظام اجتماعى واحد »

فالصورة التى يمثلها هذا المقال واضحة . وقد شعر خصوم الخطيب كلهم انهم مهددون بها . فهم يرون الاراضى الحمية مقرونة برؤية الباخرة التى تقودهم اليها لانهم من حزب أولئك

السياسيين الذين يهددهم ذلك العقاب . هنالك تولاهم الفزع الذى كان يدخل قلوب (المتعاهدين)اذ يسمعون (روبسبيير) يهددهم بمنجلة [١] الاعدام فيدينون له على الدوام

من مصلحة القواد أن يأتوا بالمبالغات التى لا يجوز فى العقل تصورها فمن ذلك ما أكده الخطيب الذى نقلنا عنه الصورة المتقدمة ولم يعارضه احد معارضة تذكر من ان أرباب المصارف المالية والقسوس يواسون الذين يقذفون قنابل الديناميت . وان مديرى الشركات المالية الكبرى يستحقون الجزاء الذى يستحقه الفوضويون . لمثل هذه التوكيدات دائماً أثر فى الجماعات . ولا يرمى الخطيب بالتطرف كيفما بالغ وأكد كما انه لاحرج عليه وان تعسف فى الطعن واشتد فى الهجاء ولا نظير لهذه الفصاحة من حيث التأثير فى السامعين لانهم ان جنحوا للمعارضة خافوا تهمة الخيانة او الاشتراك مع المجرمين

سادت هذه الفصاحة فى المجالس النيابية فى كل زمان كما

---

(١) آلة اعدام تفصل الرأس عن بقية الجسد

قدمنا وهى تشتد فى ازمنة الشدة . ومن افيد المطالعات قراءة الخطب التى كان كبار الخطباء يلقونها فى مجالس الثورة فقد كانوا يشعرون بالحاجة الى قطع الكلام حيناً فحيناً لتقبيح الجرم وتمداح الفضيلة . ثم تنهمر الشتائم من افواههم على الظالمين . ويقسمون انهم اما ان يعيشوا أحراراً واما أن يموتوا . ويقف الحاضرون يصفقون كمن بهم جنة . ثم يسكن جأشهم فيجلسون

قد يكون القائد احياناً ذكياً متعلما ولكن ذلك يكون مضراً به فى الغالب . لان الذكى يميل الى بيان مافى المسائل من اوجه التعقيد . ويقبل المناظرة والتفاهم . وذلك يؤدى الى التسامح والاغضاء ويكسر كثيراً من حدة العقيدة وحدة العقيدة لازمة للرسل . وكان اكبر القواد فى الامم خصوصاً قواد الثورة الفرنساوية من قصار العقول جداً وكان اكبرهم تأثيراً اشدهم قصراً فى العقل . فان الانسان ليدهش مما يراه من التخبط عند مطالعة رسائل اعظمهم قدراً وهو (روبسبيير) ومن لم يقرأ غيرها من ترجمة حياته لا يجد ما يعلل به قوة ذلك المسيطر الجبار قال بعضهم يصفها « صيغ كلية جارية على

كل لسان . وشقشقة فى الفصاحة المحفوظة من كتب التربية والتعليم على الطريقة اللاتينية اجتمعنا فى نفس خلوها اكثر من انحطاطها ، نفس تكاد لا تعرف من وسائل الهجوم او الدفاع الا ما تعوده التلاميذ من قول الواحد منهم لزميله « هل من مبارز » وليس هناك رأى ولا تدبير ولا شاردة . عنف ممل وشدة مسئمة. فاذا فرغ القارىء من تلك المطالعة المملة شعر بالحاجة الى قول أف كما كان يفعل الرجل الظريف « كاميل ديمولان »

من المفزعات ما يناله الرجل ذو النفوذ من السلطة اذا صدقت عقيدته وقصر عقله . على انه لا بد لاستجماع ذلك فى الانسان حتى يستهين بالصعاب ويعرف كيف يريد . وللجماعات شعور كالالهام يهديها الى معرفة الرجل الذى اودعت فيه قوة العزيمة المبنية على صدق العقيدة فتدين لسلطته

انما ينجح الخطباء فى المجالس النيابية بما لهم من النفوذ لا بقوة البراهين التى يقيمونها . واصدق شاهد على ذلك انه اذا وقع لاحدهم ما يفقده نفوذه فانه يفقد معه تأثيره اعنى قدرته على ادارة الآراء كما يشاء

واما الخطيب المجهول الذى يذهب الى الجلسة بعد ان يكون قد اعد خطابته ودعمها بالحجج ولم يكن لديه الاّ الحجج والادلة فلا رجاء له حتى فى الاصغاء اليه . وقد وصف موسيو (ديكوب) وهو احد النواب ومن علماء النفس المدققين النائب الذى لا نفوذ له فى السطور الآتيه « اذا استوى — الموصوف — على منبر الخطابة اخرج من محفظته اوراقا فنشرها امامه على الترتيب وشرع يخطب مطمئنا . وهو يفتخر فى نفسه بأنه سيبث عقيدته لتسكين روح سامعيه . لانه وزن ادلته وحررها . واعد شيئا كثيرا من الاحصاآت والحجج . وايقن ان الحق فى جانبه . وان معارضه لا يثبت امام الحقيقة الناصعة التى يأتى بها . هكذا يبدأ معتمداً على صواب رأيه واصغاء اخوانه لاعتقاده انهم لا يطلبون الاّ السجود امام الحق . وبينما هو يخطب اذ تأخذه الدهشة من اضطراب الحاضرين . ثم يتقزز بالضوضاء الناتجة من ذلك الاضطراب . ويتساءل كيف لا يسود السكون . وما السبب يا ترى فى هذا الانصراف العام . وما الذى يدور على السنة اولئك الذين يتحادثون فيما بينهم وما السبب القوى الذى يحمل ذاك

على ترك مجلسه . يتساءل الخطيب هكذا والحيرة تعلو جبهته فيفرك حاجبيه ويمسك عن الكلام ويشجعه الرئيس فيعود بصوت مرتفع . فيزيد الاعضاء فى عدم الاصغاء اليه . فيجهر ويهتز . فتزداد الجلبة حواليه . ويعود لايسمع نفسه فيمسك عن الكلام مرة أخرى . ثم يخشى أن يدعو سكوته الى أصوات (الاقفال الاقفال) فيرجع الى خطابته بما فيه من قوة . وهناك تعلو الجلبة ويختلط الحابل بالنابل مما لا يقدر على وصفه الواصفون »

ومن خواص المجالس النيابية انها اذا تحرك شعورها وارتقت فى الهياج الى درجة معلومة تصير كالجماعات العادية المختلفة العناصر سواء بسواء فتغلو الى النهاية فى مشاعرها . وتذهب الى أقصى مراتب الشجاعة وآخر درجات التطرف فى القسوة . اذ ذاك لايصير الرجل نفسه بل يبعد عنها بعداً يحمله على تقرير ما يخالف منافعه كل المخالفة

والذى يقرأ تاريخ الثورة الفرنساوية يدرك الى أى حد تفقد المجالس شعورها وتخضع لما يطلب منها وان خالف اعز المنافع لدى افرادها . كان من أكبر الضحايا ان يتنازل

الشرفاء عن امتيازاتهم ومع ذلك فعلوه غير مترددين ذات ليلة من ليالى « الدستورية » وكان تنازل المتعاهدين عن تقديس أشخاصهم منذراً لهم بالويل والدماء ولكنهم فعلوا وماخشوا تقتيل بعضهم بعضاً ولا أرهبهم اعتقاد كل واحد منهم انه مسوق الى الاعدام لا محالة كما يسوق هواليوم اخوانه اليه غير انهم كانوا قدوصلوا الى حالة من التهيج جعلتهم كآلات تتحرك من نفسها على ماوصفنا فلم يعد هناك من الاعتبارات ما يقوى على صدهم عن اتباع الهوى المتمكن من صدورهم اليك ماقاله أحدهم (بيلوفارين) مما يوضح ما ذكر « ما كنا لنريد القرارات التى يلومنا الناس من أجلها قبل أن نصدرها بيومين اثنين بل بيوم واحدولكن المحنة هى التى كانت تمليها » وما أصدق ما كتب

كانت جلسات التعاقدمتفردة باللاشعور كماعرفت بالهياج قال تاين « لقد اقروا وشرعوا ما كانوا يجزعون له اشد الجزع ولم يكتفوا فى ذلك بالحماقيات والجنونيات . بل شرعوا الاثام وقتل الابرياء واعدام الاصدقاء وانضم حزب الشمال الى حزب اليمين وقرر معه بالاجماع وسط التصفيق الشديد ارسال

(دانتون) الى المنجلة وكان رئيسه الطبيعى وموجد الثورة وقائد زمامها ومال اليمين الى الشمال فقرر معه بالاجماع وسط التصفيق الشديد افظع الاوامر التى اصدرتها الحكومة الثورية وبين اصوات الاعجاب والنشوة تدفق الميل والانعطاف نحو (كولوت ديربوا) و (كوطون) و (روبسبيير) فجدد (المتعاقدون) انتخاب أعضاء الحكومة الثورية وابقاءها على منصة الحكم وهى الحكومة القاتلة التى كان يبغضها السهل لجرمها ويمقتها الجبل لانها كانت تحصده اصطلح السهل مع الجبل واتفق القليل مع الكثير ورضى الجميع بمساعدة قاتليهم على اعدامهم ثم فى يوم ٢٢ من الشهر تقدمت رقاب تلك الحكومة الى التقطيع وبعد ذلك بقليل تقدمت اليه أيضاً تلك الرقاب عقب خطاب روبسبيير »

قد يكون الوصف اقسم ولكنه الحق الواقع والصفات المتقدم ذكرها توجد فى المجالس النيابية المتهيجة التى سكرت بخمر فكر من الافكار فتصبو كالقطيع المتحرك يسوقه كل دافع وقد وصفها على هذه الحال موسيو (سبوللر) وهو شورى لا يشك احد فى صدق افكاره الديمقراطية وصفا

دقيقاً نذكره للقراء نقلا عن (المجلة الادبية) ويرى القارئ فيه جميع المشاعر المتطرفة التي قدمنا ذكرها وتمثل فيها التقلبات الشديدة التي تنتقل بها الجماعات من الضد الى الضد من لحظة الى أخرى . قال موسيو (سبوللر)

« ان التنافر والحسد وسوء الظن ثم الثقة العمياء والآمال التي لا نهاية لها اوردت الحزب الجمهوري حتفه فلقد كان له من السذاجة مالا يساويه الا سوء ظنه المطلق . لا يدرك شرعية الامور ولا يفقه للنظام معنى . ذعر وآمال لا تنتهي حالتان يستوي فيهما الريفي والطفل فسكونهما يضارع قلقهما . ووحشيتهما تماثل طاعتهما ذلك شأن المزاج الذي لم يرتب والتربية التي انعدمت . لا يندهشان لامر وكل امر يفقدهما الصواب يرتجفان ويرهقان وفيهما الاقدام والشجاعة . فيقتحمان النار . ويجفلان من الظل . ويجهلان العلل والمعلولات . ويسارعان الى الفتور مسارعتهما الى التهوس . فيهما استعداد للفزع والذهول . ويتخبطان من الافراط الى التفريط فلا يعرفان الوسط ولا القدر الذي ينبغي ابداً . ألين من الماء تنعكس فيهما جميع الالوان . ويتشكلان بكل الصور

أى رجاء فى حكومة تؤسس فوقهما »

لكن من حسن الحظ ان جميع الصفات التى اتينا على ذكرها فى المجالس النيابية لا تظهر دائما . لان تلك المجالس لا تكون جماعات الا فى بعض الاحايين . والغالب ان كل عضو من اعضائها يحفظ ذاتيته على استقلال . ومن هنا صح لها ان تسن من القوانين الفنية ماهو حسن للغاية . نعم ان الذى يضع هذه القوانين انما هو اختصاصى واحد يحضرها فى سكون مكتبته وكل قانون اقره المجلس هو صنع فرد واحد لا صنع المجلس كله . ولكن القوانين التى وضعت بهذه الكيفية هى احسن ما يشرع وانما يكون القانون ضارا اذا ادخلت عليه فى الهيئة تعديلات رديئة فجعلته من صنع الجماعة ذلك لان صنع الجماعة احط درجة من عمل الفرد دائماً وفى كل مكان . والاختصاصيون هم الذين ينجون المجالس النيابية من الوقوع فى الاعمال المضرة التى لا يهذبها الاختبار . فالاختصاصى يكون عند ذلك قائداً وقتياً يؤثر فى المجالس ولا تأثير للمجلس فيه

المجالس النيابية هى أحسن الوسائل التى اهتدت اليها الامم

فى حكم نفسها وبالاخص فى التخلص ما استطاعت من نير المظالم الشخصية مع ما عليه المجالس المذكورة من صعوبة الحركة . وهى على التحقيق أرقى اشكال الحكومات ان لم يكن عند الكافة فعند الفلاسفة والمفكرين والكتاب وأهل الفنون والعلماء وبالجملة عند كل عنصر من العناصر التى تتكون منها ذروة الحضارة فى الامم

على اننا اذا نظرنا اليها من الجهة العملية لانرى لها الاّ ضررين كبيرين . الاول تبذير الاموال تبذيراً لا مناص منه . والثانى الترقى فى تحديد الحرية الشخصية

فاما الضرر الاول فهو نتيجة عدم تبصرة الجماعات الانتخابية . فاذا قدم أحد الاعضاء طلباً لسد حاجة اجتماعية ديمقراطية ولو فى الظاهر كتقرير معاش لجميع العملة أو زيادة مرتبات بعض خدمة الريف والمعلمين وهكذا لايسع الاعضاء الآخرين ان يرفضوه لخوفهم من الناخبين حتى لا يظهروا بمظهر من لا يهتم بمصالحهم ولو كانوا على يقين من أن الطلب يبهظ الميزانية ويفضى الى تقرير ضريبة جديدة . اذن يستحيل عليهم الرفض . اما نتائج الزيادة فى المصروفات فهى بعيدة ولا

تأثير لها فى أشخاصهم الاّ قليلا بخلاف مالو رفضوا الطلب فان النتيجة تتجلى يوم يضطرون للوقوف امام الناخبين وما ذلك اليوم ببعد

وهناك سبب قوى أخر يستلزم زيادة المصروفات وهو الاضطرار لمنح المصروفات المحلية اذ لا يجرأ عضو فى المجلس على رفض طلبها لكونها فى منفعة الناخبين مباشرة . ولأنه لا يتمكن من نيل ما يريده لمركزه الا اذا أقر مايطلبه زملاؤه لمراكزهم [1]

---

(١) ذكرت جريدة (ايكونو ميست) فى عددها الصادر بتاريخ ٦ ابريل سنة ١٨٩٥ بياناً غريباً للنفقات التى تتكلفها تلك المصالح المحلية فى سنة واحدة وخصوصاً السكك الحديدية فكان كما يأتى : الخط بين (لانجاى) وسكانها (٣٠٠٠) نسمه وهى منزوية في احد الجبال و (پوى) خمسة عشر مايوناً . والخط بين (بومون) وسكانها (٣٥٠٠) نسمة و (كاستيل سازاران) سبعة ملايين . والخط بين (اوست) وسكانها (٥٢٣) نسمة و (سيكس) وسكانها (١٢٠٠) نسمة سبعة ملايين . والخط بين (پراد) وكفرة (اوليت) وسكانها (٧٤٧) نسمة سبعة ملايين

وأما الضرر الثانى وهو التدرج فى تقييد الحرية الشخصية تدرجا قهريا كذلك فهو ضرر محقق وان كان اقل وضوحا من الاول . وهو نتيجة القوانين العديدة التى لا تدرك المجالس النيابية نتائجها تماماً لبساطة افكارها ولكونها تحسب انها مضطرة لتقنينها وليست القوانين الا قيوداً .

وهكذا . وبلغ مجموع كلفة السكك الحديدية التى تقرر انشاؤها فى سنة ١٨٩٥ وحدها ولم يكن لها منفعة عامة مطلقاً تسعين مليوناً وستبلغ مصروفات تنفيذ قانون معاشات العمال ١٦٥ مليون بحساب ناظر المالية أو ٨٠٠ مليون بحساب (لوروابوليو) عضو جمعية العلوم ولا يخفى ان استمرار زيادة المصروفات على هذا النحو يؤدى الى الافلاس . وقد وصل اليه كثير من الممالك فى اوروبا مثل البرتغال واليونان واسبانيا وتركيا ومنها ما اصبح قادما عليه مثل ايتاليا. الا انه لا داعى للاهتمام كثيراً بما ذكر لان الناس قبلوا نقص الفائدة التى تدفعها تلك البلاد على ديونها بمقدار اربعة الاخماس من دون امتعاض كبير . وهى تفاليس محكمة التدبير تسمح لامها باصلاح ميزانياتها . على ان الحروب والاشتراكية والمزاحمات الاقتصادية تضمر لنا مصائب اشد وانكى . وقد دخلنا فى زمن التفكك والتحلل العام . فعلينا الرضا بالعيش يوما بيوم . وان لا نهتم بالغد لانه ليس في ملكنا

والظاهر انه لا مفر من هذا الخطر لان انكلترا نفسها لم تتمكن من اتقائه مع ان نظامها النيابى اكمل النظامات لان النائب الانكليزى اكبر النواب استقلالا امام ناخبيه وقد أشار (هربرت سبنسر) منذ زمن بعيد الى ان الزيادة الظاهرية فى الحرية الشخصية لا تلبث ان تتبع بنقص حقيقى فيها ثم عاد الى هذه النظرية فى كتابه الذى سماه (الفرد والحكومة) ومما قاله « جرى التشريع منذ ذلك الحين على النحو الذى أشرت اليه . فما اسرع ما كثرت اللوائح القسرية وكلها ترمى الى تحديد الحرية الشخصية . وذلك من طريقين . الاول ان كل سنة قد أوبت على سابقتها فى كثرة اللوائح التى تلزم الافراد بواجبات كانوا احراراً منها . وتفرض عليهم اعمالا كانت مباحة ان شاؤا فعلوها وان شاؤا اهملوها . والثانى زيادة الضرائب العامة التى يجب على الافراد القيام بها وذلك يحرمهم من ثمرات كسبهم بقدر ما يزيد فى المال الموكول صرفه الى مشيئة الموظفين العموميين »

وهذا الترقى فى تحديد الحريات يظهر فى جميع البلاد بصورة واحدة لم يذكرها (هربرت سبنسر) وهى ان احداث تلك

القوانين المقيدة ينتج حتما زيادة عدد الموظفين المكلفين بتنفيذها ثم هو يقوى نفوذهم . ومآل اولئك الموظفين بهذه الطريقة صيرورتهم سادة البلاد المتمدنة الحقيقيين . لان طائفتهم هى التى لا ينالها أثر التقلبات المستمرة التى تطرأ على حكومة البلاد ولذلك كانت سيطرتها شديدة على قدر ثبوت قدمها فى الوظائف فهى الطائفة الوحيدة التى لا تبعة عليها من اعمالها ولا شخصية لاحد فى مجموعها وهى باقية على الدوام ومن المعلوم ان اشد صور الاستبداد هى التى اجتمعت فيها تلك الصفات الثلاث

ان الاستمرار على سن هذه القوانين واللوائح المقيدة لحرية الناس والتى تحيط بكل حركة من حركاتهم وأن صغرت بسور من الاجراآت (البيزنطية) من شأنه ان يضيق دائرة العمل الذى لا قيد فيه لكن الأمم قد خدعت فى خيالها فحسبت ان الاكثار من القوانين توكيد لضمان الحرية والمساواة وصارت تقبل كل يوم قيداً ثقيلا

على انها لا مهرب لها من نتيجة هذا الرضا فان التعود على احتمال النير كل يوم يفضى بها الى تطلبه وفقدان ملكة الاقدام وقتل

العزيمة فتصبح حينئذ أثراً بعد عين والآلات تنفعل بحركة غيرها لا ارادة ولا صلابة ولا قوة

واذا فقد الانسان المقدمات فى نفسه اضطر الى طلبها فى غيره وكلما ازداد عدم اهتمام الافراد وضعفهم اشتدت سطوة الحكومة وقويت شوكتها بالضرورة . هنالك تضطر الى ابدال اقدامهم على الاعمال باقدامها والقيام مقامهم فى الاخذ بيد المشروعات كلها والتداخل فى تنظيم سير الافراد دونهم لانهم اضاعوا ملكة ذلك كله — وتصبح الحكومة مكلفة بان تعمل كل شىء وتدير كل شى وتحمى كل شىء فتصير الهاً قادراً . الا ان التجربة دلت على ان قدرة مثل هذا الاله لم تكن قوية ولم تدم الا قليلا

والظاهر ان الترقى فى تقييد الحريات عند بعض الامم التى تظن انها متمتعة بها لما هى فيه من الاطلاق الصورى ناشئ من هرمها كما ينشأ عن هرم أى نظام كان . وذلك نذير دور الانحطاط التى لم تنج منه مدنية حتى الآن

واذا قسنا الحاضر بالماضى ورجعنا الى العلامات التى تبدو من كل صوب حكمنا بان عدداً كبيراً من مدنياتنا الحاضرة

قد وصل الى اقصى حدود الهرم الذى هو طليعة الانحطاط والظاهر انه لابد لجميع الامم من عبور هذه السبيل لان التاريخ يروى لنا انه دور كثيراً ما تجدد

ولقد يسهل بيان الادوار التى تتقلب فيها المدنيات بقول موجز وهو الذى نريد ان نختم به هذا الكتاب فلعل فيه توضيحاً لاسباب قوة الجماعات

اذا سبرنا المدنيات التى سبقت مدنيتنا فى حالتيها الرقى والانحطاط فما الذى نعثر عليه

نعثر فى فجر هذه المدنيات على خليط من الناس مختلف الاجناس جمعتهم عفواً الهجرة والاغارات والفتوحات ولكونهم اختلفوا فى المحتد وتباينوا لغة ودينا لم يكن بينهم من الرابطة العمومية الا سلطة الرئيس على ضعف اعترافهم بها . وفى تلك المجامع المختلطة نشاهد صفات الجماعات بارقى صورها فلها منها الائتلاف الوقتى . والشجاعة والضعف . والاندفاع والقسوة . وعدم ثبات شىء من ذلك . ان هم الاقوم متوحشون

ثم دار الزمان فادى وظيفته . وأخذت جامعة البيئة وتكرار

التناسل وحاجات المعيشة الاجتماعية تؤثر اثرها شيئاً فشيئاً وبدأت اجزاء المجموع المختلفة تمتزج بعضها ببعض وتكون شعباً أى تركيباً ذا صفات عامة ومشاعر متشابهة تمكنها الوراثة كل يوم هكذا صارت الجماعة أمة وآن لهذه الامة ان تخرج من دائرة الهمجية

على انها لا تخرج منها الا اذا تكون لها مقصد عام تشخص اليه . وذلك لا يتم الا بعد مجهودات طويلة . ومغالبات متجددة على الدوام . وبدايات يخطئها الحصر . وسواء كان المقصد العام الوهية روما او تعظيم اثينا او نصرة الله فهو يكفى لتوحيد افكار افراد الامة وهى فى دور التكوين

هنالك تتولد مدنية جديدة بما تقتضيه من النظامات والعقائد والفنون وينجر الشعب وراء مقصده ويصل الى ما ينيله الابهة والجلال والقوة والاعظام . نعم تعرض له احوال يكون فيها جماعة الا انه يكون له خلف صفاتها المتقلبة ذلك الموجود القوى اعنى روح الشعب فهى التى تقيد تقلباته وتحددها وتضع للمصادفات نظاماً مسنونا

فاذا اتم الزمان صنعه الايجادى يبدأ بصنعه الاعدامى الذى

لم ينج منه عابد ولا معبود فتقف المدنية عند وصولها الى حد معين من الشوكة والتشعب ومتى وقفت اسرع اليها الانحطاط لا محالة فقد اقتربت الشيخوخة ودنت ساعة الاجل

علامة تلك الساعة التى لا مفر منها تكون دائماً ضعف اليقين بالمقصد الذى اتكأت عليه روح الشعب وكلما انزوى عود هذا الخيال اندكت صروح الدين والسياسة والاجتماع التى كانت تستمد منه حياتها

كلما انزوى خيال الشعب فقد هو علة امتزاجه . وداعى وحدته . وموجد قوته . وتمت شخصية الافراد . وعظم الذكاء فيهم غير ان ذلك يصطحب بحلول الاثرة الشخصية المفرطة محل الاثرة القومية. ووراءه انطماس الاخلاق. وضعف القدرة على العمل . ويصبح ذلك التركيب الذى كان يكون امة ـ اى وحدة وان شئت فقل كتلة ـ جمعاً مؤلفاً من افراد غير مؤتلفين . لا رابطه بينهم الاّ الجامعة الصناعية الآتية من التقاليد والنظامات ومتى وصل الناس الى هذه الحال من افتراق المنافع واختلاف النزعات وعدم الاهتداء الى طريقة يحكمون بها انفسهم جدوا فى طلب من يقودهم فى جميع

أعمالهم وان صغرت فتأتى الحكومة بسلطانها وتبتلع كل شيء

واذا تم فقدان الخيال تم فقدان روح الامة . فتعود خليطاً من الناس كل يعمل على شاكلته . وترجع الى ما كانت عليه فى بدايتها جماعة لها منها جميع الصفات الوقتية . فلا شعور . ولا امل . هنالك تنعدم اساطين المدنية . وتمسى هدفا لحوادث الاتفاق . وتصير العامة سلطانة فى الناس . وتبدو طلائع المتوحشين . وقد يلوح على المدنية انها باقية فى بهائها الان محياها لا يزال يضيء بما اكسبته الاجيال الطويلة من البهجة والرواء ولكن الحقيقة انه بناء اكله السوس وفقد دعائمه واستعد للسقوط بأى عاصفة

فمن همجية الى حضارة وراء مقصد فى الخيال . ومن حضارة الى انزواء . فموت حين يضمحل الخيال . هذا مدار حياة الامم

تم

obeikandl.com

فهرست

صحيفة

١ مقدمة المغرب

٢ مقدمة المؤلف

٩ تمهيد

زمن الجموع

تطور أهل الوقت الحالى ـ فى ان تغييرات المدنية العظيمة نتيجة أفكار الامم ـ اعتقاد أهل هذا العصر بقوة الجماعات ـ فى ان هذا الاعتقاد يحول الدول عن سياستها التقليدية ـ كيف تسود سلطة طبقات الأمة وكيف تجرى تلك السلطة ـ النتيجة اللازمة لسلطة الجماعات ـ فى أن الجماعات لا تستطيع الا الهدم ـ فى انها هى التى تجهز على المدنية التى وهن بناؤها ـ فى الجهل العام باحوال الجماعات النفسية ـ اهمية الوقوف على تلك الاحوال عند الشارع والسياسى

obeikandl.com

صحيفة

الباب الأول

٢٣

روح الجماعات

—

الفصل الاول

المميزات العمومية للجماعات وقانون وحدتها الفكرية النفسانى

ما الجماعة عند علماء النفس ـ فى ان مجرد اجتماع عدد كبير من الافراد لا يكفى لتكوين جماعة ـ في اتحاد وجهة افكار الافراد الذين تتألف الجماعة منهم ومشاعرهم وانعدام شخصياتهم ـ فى ان الجماعة خاضعة دائماً لحكم اللاشعور ـ انزواء الحياة الشعورية وظهور الحياة اللاشعورية ـ انحطاط القوة العاقلة وتغير الاحساس تغيراً كلياً ـ فى ان ذلك الاحساس المتغير يكون أحسن أو أردأ منه فى الاشخاص الذين تتألف الجماعة منهم ـ سهولة اندفاع الجماعة الى الشجاعة والى الشر

—

٣٧

الفصل الثانى

مشاعر الجماعات وأخلاقها

(١) قابلية الجماعة للاندفاع والتقلب والغضب ـ الجماعة العوبة

فى يد المهيجات الخارجية وهى تمثل تقلباتها المستمرة ـ البواعث التى تدفع الجماعة الى الفعل قوية جداً تمحى امامها المنفعة الخاصة ـ لاشىء من افعال الجماعة يصدر عن قصد وروية ـ تأثير الاخلاق القومية فى الجماعة

(٢) قابلية الجماعة للتأثر وللتصديق ـ طاعة الجماعة للمؤثرات فى انها تأخذ الخيالات التى تمثل لها حقائق ثابتة ـ علة اجماع افراد الجماعة على النظر الى تلك الخيالات بكيفية واحدة فى التساوى بين العالم والبليد فى الجماعة ـ بعض أمثلة للخيالات التى يتأثر بها افراد الجماعة كلهم ـ فى استحالة الاعتقاد بصحة قول الجماعة ـ فى ان اتفاق العدد العديد من الشهادات من اردأ الأدلة على اثبات أمر معين ـ ضعف قيمة الكتب التاريخية

(٣) فى غلو مشاعر الجماعة وبساطتها ـ الجماعة لا تعرف الشك ولا التردد وتذهب دائما الى التطرف — فى ان مشاعر الجماعة زائدة على الحد دائما

(٤) فى ان الجماعة قليلة المسالمة ميالة الى التسلط والامرة والمحافظة على القديم — فى علة تلك الصفات — فى خنوع الجماعة أمام السلطة القوية — فى ان نزوع الجماعة الى الثورة وقتاً من الاوقات لا يمنع من كونها محافظة للغاية — فى ان مشاعر الجماعة تضاد التقلبات والترقى

(٥) فى اخلاق الجماعة — قد تكون اخلاق الجماعة احط كثيراً من أخلاق افرادها وقد تكون ارقى منها كثيراً تبعاً للمؤثرات التى تتأثر بها — علة ذلك وأمثلته — قلما تكون المنفعة باعث العمل عند الجماعة مع انها هى الداعى الوحيد للفرد فى عمله — شأن الجماعة فى تهذيب الاخلاق

صفحة الفصل الثالث

٧٠ أفكار الجماعات وتعقلها وتخيلاتها

(١) افكار الجماعات — الافكار الاساسية والافكار التبعية — فى اجتماع الافكار المتناقضة — تغير الافكار العالية حتى تصل الجماعات الى ادراكها — اثر الافكار فى الهيئة الاجتماعية بمعزل عما تشتمل عليه من الحقيقة

(٢) تعقل الجماعات — عدم قابلية الجماعات للتأثر بالمعقول — درجة تعقل الجماعة منحطة دائما — لا تشابه ولا تلازم بين الافكار التى تجمع الجماعات بينها الا فى الظاهر

(٣) تخيل الجماعات — شدة تخيل الجماعة — انما تتخيل الجماعات بواسطة الصور وهى تتوارد عليها من غير جامعة بينها أصلا — انما يشتد تأثر الجماعات من الاشياء بالجهة الخلابة فيها — خلابة الاشياء وما فيها من الاقاصيص هما اساس المدنية الحقيقية — تخيل الجماعات كان على الدوام قوة رجال السياسة فى الامم — كيف تبدو الحوادث التى لها قوة التأثير فى تخيل الجماعات

صفحة

الفصل الرابع

٨٥ الصبغة الدينية التى تتكيف بها اعتقادات الجماعات

ما هو الشعور الدينى ـــ الشعور الدينى مستقل عن عبادة الالوهية ـ مميزات الشعور الدينى ـ قوة المعتقدات التى لها صبغة دينية ـ أمثلة شتى ـ فى أن آلهة العامة لم تزل ـ فى الصور الجديدة التى تظهر بها تلك الآلهة ـــ الشكل الدينى للالحاد ـ أهمية هذه المبادىء من الجهة التاريخية ـ فى ان الاصلاح أو قيام البروتستانتية وواقعة صانت بارتامى وزمن (الهول) وجميع الحوادث المماثلة هى أثر مشاعر الجماعات الدينية لا أثر ارادة فرد واحد

صفحة
٩٤

الباب الثانى

افكار الجماعات ومعتقداتها

الفصل الاول

العوامل البعيدة فى معتقدات الجماعات وأفكارها

العوامل التحضيرية لمعتقدات الجماعات ـ في ان ظهور معتقدات الجماعة نتيجة اختمار سابق ـ البحث عن العوامل المختلفة فى تلك المعتقدات

(١) الشعب وما له من التأثير الاول ـ فى انه مستودع ماترك الآباء

(٢) التقاليد وكونها خلاصة روح الشعب ـ اهمية التقاليد من الجهة الاجتماعية ـ فى انها تصير مضرة بعد ان كانت لازمة

فى ان الجماعات اشد احتفاظاً للافكار التقليدية
(٣) الزمن وكونه يهيىء استقرار المعتقدات ثم زوالها ـ فى انه هو الذى يولد النظام من الفوضى
(٤) النظامات السياسية والاجتماعية ـ فى الخطأ فى تقدير تأثيرها — فى ان تأثيرها ضعيف جداً — فى انها آثار لا مؤثرات — فى انه لا يتيسر للامم ان تختار منها ما تظنه الاحسن — فى ان النظامات عناوين يندرج تحت الواحد منها امور متخالفة بالمرة — كيف توجد النظامات — فى انه لا بد لبعض الامم من بعض نظامات رديئة نظريا كجمع السلطة وتوحيدها
(٥) التعليم والتربية — خطاء الناس في افكارهم الحالية من حيث تأثير التعليم فى الجماعات — بعض ايضاحات من الاحصاآت — التربية اللاتينية تضعف الاخلاق ـ في التأثير الذى يمكن أن يكون للتعليم ـ امثلة عن امم مختلفة

—

صفحة الفصل الثانى

١٢٦ العوامل القريبة فى أفكار الجماعات

(١) الصورة والالفاظ والجمل ـ فيما للالفاظ والجمل من القوة

السحرية — فى ان قوة الالفاظ مرتبطة بالصوز التى تحدثها فى الخيال وغير متعلقة بمعناها الحقيقى — فى ان تلك الصور تختلف باختلاف الازمان والامم — كثرة الالفاظ — امثلة على كثرة اختلاف معانى بعض الالفاظ المستعملة — الفائدة السياسية من اطلاق اسماء جديدة لمسميات قديمة متى صارت اسماؤها الاولى تحدث تأثيراً سيئاً فى نفوس الجماعات ـ اختلاف معانى الالفاظ الواحدة باختلاف الامم ـ اختلاف معنى ديموقراطية فى اوروبا وفى امريكا

(٢) فى الاوهام — فى اهمية الاوهام — فى ان الاوهام موجودة فى اساس كل مدنية — ضرورة الاوهام فى الاجتماع — فى ان الجماعات تفضل الوهم على الحقيقة

(٣) التجارب — يجوز ان تولد التجارب وحدها فى نفوس الجماعات حقائق لازمة وتهدم اوهاما ضارة — انما تؤثر التجارب اذا كثرت — ما تقتضيه التجارب اللازمة لاقناع الجماعات

(٤) العقل — عدم تأثيره فى الجماعات — فى انه لا يمكن التأثير فى الجماعات الا من طريق مشاعرها الغريزية — شأن المنطق فى التاريخ — فى الاسباب الخفية للحوادث الخارجة عن المعقول

صفحة

الفصل الثالث

١٤٧ قواد الجماعات وطرقهم فى الاقناع

(١) قواد الجماعات — حاجة الجماعات الفطرية الى قائد تطيعه — روح القواد — القواد هم الذين يمكنهم وحدهم ايجاد الاعتقاد ووضع نظام للجماعات — استبداد القواد نتيجة لازمة — أنواع القواد — شأن الارادة

(٢) وسائل التأثير التى يستعملها القواد — التوكيد والتكرار والعدوى — تأثير كل واحد من هذه العوامل — كيف ترتقى العدوى فى الامة من الطبقة السفلى الى الطبقة العليا — فى ان الفكر يكون للعامة فلا يلبث أن يصير عاما

(٣) النفوذ — تعريف النفوذ وانواعه — النفوذ المكتسب والنفوذ الشخصى — امثلة متنوعة — كيف يزول النفوذ

صفحة

الفصل الرابع

١٧٩ حدود تقلب معتقدات الجماعات وأفكارها

(١) فى المعتقدات الثابتة ـ فى عدم تقلب بعض المعتقدات العامة ـ فى ان هذه المعتقدات هى التى تهتدى بها المدنية ـ فى صعوبة ازالتها ـ فى ان التعصب أحد فضائل الامم من بعض الوجوه ـ فى ان بطلان معتقد عقلا لا يؤثر فى انتشاره ورسوخه

(٢) فيما للجماعات من الافكار غير الثابتة ـ فى ان الافكار التى لا ترجع الى المعتقدات العامة كثيرة التغير ـ فى ان تغيير المعتقدات والافكار يظهر فى أقل من قرن واحد ـ فى حدود هذا التغير الحقيقية ـ فيما يكون فيه التغير ـ فى ان زوال المعتقدات العامة فى العصر الحاضر وشدة انتشار المطبوعات مما يزيد فى كثرة تغير الافكار ـ فى ان افكار الجماعات تميل الى عدم الاهتمام بكثير من الاحوال ـ فى ضعف الحكومات عن قيادة الافكار كما فى الزمن السابق ـ فى ان تشعب الافكار فى الزمن الحاضر يمنع من تسلطها تسلط القاهر المستبد

صفحة ١٩٩

الباب الثالث

أقسام الجماعات وبيان انواعها

الفصل الاول

أقسام الجماعات

اقسام الجماعات العامة ـ انواعها

(١) الجماعات المختلفة العناصر ـ اوجه اختلافها ـ تأثير الشعب فى ان روح الجماعات تكون ضعيفة بقدر ما تكون روح الشعب قوية ـ فى ان روح الشعب تمثل حالة الحضارة وروح الجماعات تمثل حالة الهمجية

(٢) — الجماعات المؤتلفة العناصر — أنواعها — الافناء والطوائف والطبقات

صفحه ٢٠٦

الفصل الثانى

الجماعات الجارمة

يجوز ان تكون الجماعة جارمة شرعاً لكنها لا تعد كذلك فلسفيا — فى ان افعال الجماعة لاشعورية محضة — امثلة شتى — روح جماعة

شهر ستمبر — افكارها وشعورها وقسوتها واخلاقها

—

صفحة الفصل الثالث

٢١٤ العدول المحامون امام محاكم الجنايات

الصفات العامة للعدول — فى ان الاحصاء يدل على انه لا تلازم بين قراراتهم وكيفية تشكيلهم — كيف يتأثر العدول — ضعف تأثير الدليل العقلى — طريقة الاقناع التى استعملها اشهر المحامين — الجرائم التى يرأف العدول بمن ارتكبها او التى يقسون من اجلها — فائدة العدول وخطر تبديلهم بالقضاة

—

صفحة الفصل الرابع

٢٢٥ جماعات الانتخاب

الصفات العامة لجماعات الانتخاب — طريقة اقناعها — الصفات التى يجب ان تكون للمترشح — ضرورة النفوذ — السبب فى ان العملة والصناع قلما ينتخبون النائب من بينهم — سلطان الالفاظ والجمل على الناخب — صورة المناقشات الانتخابية — كيف يتكون رأى الناخب — سلطان اللجان — فى انها تمثل أشد صور الاستبداد — لجان الثورة الفرنساوية — من المتعسر الاستعاضة عن الاقتراع العام كيفما

كانت قيمته ضعيفة — فى بيان ان النتيجة تكون هى بذاتها اذاقصر حق الانتخاب على فريق من الاهلين — فى معنى الاقتراع العام عند كل امة

—

صفحة الفصل الخامس

٢٤٠ المجالس النيابيه

اكثر الصفات العامة للجماعات المختلفة العناصر غير الاسمية توجد فى الجماعات النيابية — بساطة الافكار — الانفعال وحدوده — الافكار الثابتة والافكار المتقلبة — السبب فى ان التردد هو الغالب — شأن القواد — سبب نفوذهم — هم الذين لهم الكلمة فى المجالس بحيث ان رأى الجميع يرجع الى راى عدد محدود من الاعضاء — سلطان القواد الشامل — اركان خطابتهم — الالفاظ والصور — فى ان الضرورة تقتضى ان يكون القواد مقتنعين بما يلقون من الاراء وان يكونوا من قصار النظر — فى انه يستحيل ان تقبل اراء الخطيب الذى لا نفوذ له — غلو مشاعر الهيئة سواء كانت طيبة أو رديئة — فى انها تتحرك أحياناً بحركة نفسية — فى جلسات « المتعاهدين » — فى الاحوال التى لا يكون للهيئة فيها صفة الجماعة — تاثير الاختصاصيين فى المسائل الفنية — منافع النظام النيابى ومضاره في كل امة — فى ان النظام موافق لاحتياجات العصر ولكنه يؤدى الى تبذير الاموال وتحديد جميع الحريات شيئاً فشيئاً — خلاصة الكتاب

تم الكتاب

﴿ تصحيح خطأ ﴾

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٥	١٤	نقيم	تقسيم
٢٨	١٧	ولكن	ولكى
٣٢	١٢	قابليته	قابلية
٣٥	٨	وحصدوا	وحصد
٤٢	٨	حال	حائل
٤٣	١٦	بها	بهن
٥٦	٢	يعبده	تعبده
٦٤	١٦	اذ	اذا
٦٨	١٢	مرزولة	مرذولة
٨٦	١٣	لأوامره	لاوامرها
٨٦	١٣	تعاليمه	تعاليمها
٨٩	٢	لقسس	لقسوس
٩٦	٤	التربية	التربة
٩٨	١	مدينته	مدنيته

obeikandl.com

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٠٣	١٥	التربية	التربة
١٠٧	١٥	بداء	بدأ
١١٢	١٤	بتعليمها	بتعلمها
١١٥	١٧	يختار	يختارون
١١٨	١٧	الشباب	الشاب
١٢٠	١	يقدروا	يقدرون
١٣٤	١٧	أطل	أطيل
١٤٦	١١	اللذات	الذات
١٥٢	٥	يجددون	يحددون
١٥٣	١٦	تفسهم	انفسهم
١٧٢	١٧	السلف	الخلف
١٧٣	١	الخلف	الساب
١٧٣	١	نره	نراه
١٧٤	٢	ابلغ	بلغ
٢٠٢	٧	ذكرنا	ذكرناه
٢١٠	١٥	المهتمين	المتهمين
٢١٧	١٦	التى جاء بها	الذى جاء به
٢١٩	٨	بشعرمنه الانحراف	يشعرمنه بالانحراف
٢٣٥	٧	طبقاً	طبعاً

obeikandl.com